



كنيسة مارمرقس القبطية
الأرثوذكسية . بمصر الجديدة

الرد على الإلحاد

تقديم

أبونا/ داود لمعى

إعداد

أستاذ/ إبراهيم يوسف

الفهرس

٨	تقديم
٩	مقدمة: ظاهرة الإلحاد
١١	الفصل الأول: أسباب الإلحاد
١٦	الفصل الثاني: كيف نرد على الملحدين
١٦	الأرضية المشتركة:
١٧	أسلوب المناقشة:
١٨	أساليب الإقناع:
٢٠	الفصل الثالث: حجج منطقية تدل على وجود إله
٢١	الوجود Argument from Existence
٢٢	العلّة الأولى: Cosmological Argument
٢٢	تصميم الكون: Teleological Argument
٢٣	ضوابط الكون: Fine tuning of the universe
٢٥	لا نهائية المعرفة:
٢٦	الكمال: Perfect Forms
٢٦	الخير والشر:
٢٨	مَن خلق الله؟
٢٨	لماذا لا يظهر الله؟
٣١	الفصل الرابع: العلم والإيمان
٣١	(١) أليس معظم العلماء ملحدين؟
٣٢	(٢) هل تفسير الظواهر الطبيعية يلغى وجود الله؟
٣٣	(٣) هل تتعارض المعجزات مع العلم؟
٣٤	(٤) هل فكرة وجود خالق عرقلت التطور العلمي؟
٣٥	(٥) ماذا إذا كنا نتاج عملية تطور عشوائية؟
	(٦) هل العلم كافي لتفسير الظواهر الطبيعية؟ هل يمكن الإعتماد على العلم
٣٥	فقط في الحياة؟

- ٣٧ الفصل الخامس: نظرية التطور من المنطلق العلمى
- ٣٧ التطور الكلى والتطور الجزئى
- ٣٨ هل تفسر الآليات المكتشفة حتى الآن التنوع الموجود حالياً بين الكائنات؟
- ٤١ هل تشرح نظرية التطور كيف بدأت الحياة على الأرض؟
- ٤٢ أدلة التطور
- ٤٤ الفصل السادس: نظرية التطور من الناحية المنطقية
- ٤٥ (١) هل تم التطور بطريقة عشوائية بحتة؟
- ٤٥ (٢) هل تم التطور بطريقة تدريجية كما يزعم العلماء؟ أم حدثت ثورات
في نوعية الكائنات الموجودة عبر الزمن؟
- ٤٥ (٣) إذا كنا نتاج عملية عشوائية فهل يمكن الإعتماد على العقل البشرى
في معرفة الحقيقة؟
- ٤٦ (٤) هل تفسر نظرية التطور كل الخصائص التى تتمتع بها؟
- ٤٧ الفصل السابع: تعدد الديانات وإمكانية معرفة الحقيقة
- ألا يعنى تعدد الأديان أن البشر عموماً يميلون إلى إختراع الأساطير وأن كل
الأديان مجرد إختراعات بشرية لكى يلصقوا الله فى أى موضوع لا
يفهمونه؟
- ٤٧ هل كل الديانات تعتبر جهات مختلفة لعملة واحدة؟
- ٤٨ هل يجب أن ندرس كل الأديان حتى نعرف الحقيقة؟
- ٤٨ كيف نعرف الديانة الحقيقية؟
- ٥٠ هل يمكن أن يهلك كل أتباع الديانات الأخرى؟ ماذا إن ولدوا فى ديانة أخرى؟
وماذا عن اصدقائى من أتباع الديانات الأخرى الذين هم أفضل منى
ويفعلون الخير للجميع؟
- ٥٢ الفصل الثامن: إعتراضات على فكرة وجود إله
- ٥٥ (١) هل يمكن أن نؤمن بإله خلقنا لمجرد عبادته ومدحه طول الوقت؟
- ٥٥ (٢) إذا كان الله يحبنا، لماذا يفرض علينا أن نؤمن به لكى نخلص؟
- ٥٦ الفصل التاسع: الشر والألم
- ٥٧ الشر... ما هو؟ وكيف نعرفه؟
- ٥٨

- الإلحاد والشر ٥٨
- الإلحاد ونسبية المبادئ ٦٠
- من أين أتى الشر؟ ٦٠
- ألم يمكن لله أن يخلق كوناً دون شر وألم؟ ٦١
- لماذا حرية الإختيار؟ ٦١
- ماذا عن الكوارث الطبيعية والألم؟ ماذا عن الاطفال الذين يولدون معاقين أو يصابون
بالسرطان؟ ألم يكن في استطاعة الله أن يمنع كل هذا الشر؟ ٦١
- فوائد الألم ٦٢
- كيف يواجه الله الشر والألم؟ ٦٣

تقديم

حيثما وجد العقل... وُجد الشك... لأن العاقل له حرية التفكير... وهذه الحرية...
هى علامة الإنسان المميزة له عن كل الكائنات الأخرى...

وأحياناً تتعالى أصوات الشكوك والمشككين حتى ليظن البعض أن الحقيقة قد
اختفت تماماً لكن... الشك يلعب دوراً إيجابياً فى تثبيت إيمان المتسائلين بصدق
عن الحقيقة... كما يلعب دوره فى قوة إيمان المشككين بعد إقتناعهم بالحقيقة.

حوار "الحقيقة"... أصبح من أكثر الحوارات شيوعاً بين الشباب... وهنا نفتخر
بأن أحد هؤلاء الشباب الناضج قد أثمر لنا هذه الصفحات الثمينة التى تحمل لنا
خلاصة فكر علم الدفاعيات المسيحي (Apologetics).

نعم نفخر... بالابن الغالى الخادم أ/إبراهيم يوسف الذى لم يتعدى سنه
الثلاثين... ليقدم لنا هذه الدراسة الأدبية والعلمية والمنطقية لتكون دليلاً لكثيرين
فى بحثهم للحقيقة.

وقد نختلف مع الباحث أو نتفق... وقد نجد تساؤلات جديدة لم يغطيها الكتاب...
ولكنها سمة هذه الكتب الدفاعية... أنها حوارات لا تنتهى... ويتحتم على كل الأطراف
إحترام الرأى والبحث والإجتهد.

ربنا يجعل لهذه الكلمات... قوة وتأثير... لإقناع الكثيرين وثبات آخرين على
الإيمان... وإنقاذاً للبعض من شكوك بلا ردود يتطرحها بعض دُعاة الإلحاد...
وكأنهم وجدوا حقيقة (اللاحقيقة).

ربنا يسوع المسيح... له المجد... يعوّض إبراهيم عن إجتهاده وخدمته... بصلوات
حضرة صاحب الغبطة والقداسة البابا الأنبا تواضروس الثانى... الرب أدام لنا
حياته سنين عديدة مديدة.

أبونا داود لمعى

مقدمة

ظاهرة الإلحاد

كثرت ظاهرة الإلحاد في مصر في الآونة الأخيرة... ولعل الظروف الأخيرة التي مرت بها مصر هي التي أدت إلى انتشار الإلحاد. فالحكم الديني وخلط الدين بالسياسة كانا من العوامل الرئيسية التي نقرت الكثيرين من الدين.

من أقدم الملحنين المعروفين لدينا الآن هو الفيلسوف الإغريقي يوربيدس (كاتب مسرحي إغريقي، وهو من المفكرين الثوريين في جيله مع الفيلسوف سقراط) الذي كتب في مسرحيته "بيلليروفون" Bellerophon: "أيقول البعض أن هناك آلهة؟ لا؛ لا، لا يوجد. دعونا لا ننخدع، هذه أسطورة كاذبة قديمة". وهناك الفيلسوف أبيقور (فيلسوف يوناني قديم، مؤسس مدرسة فلسفية دُعيت الأبيقورية Epicurus، والغرض من فلسفته تحقيق حياة سعيدة وهادئة تتميز بالطمأنينة والسلام والحرية من الخوف) الذي نادى بعدم وجود حياة بعد الموت... فلا يجب علينا الخوف من الموت... إذ لا ثواب ولا عقاب بعده. وبالتالي لا يعيننا وجود آلهة من عدمه في شئ... ولكن هل هذا هو تعريف الإلحاد؟

الإلحاد هو إنكار وجود أي إله للكون. وهذا يختلف عن اللاأدرية "agnosticism" وهي الإيمان بعدم إمكانية البشر التأكد من وجود إله من عدمه، فاللاأدرين لا ينكرون وجود الله وفي نفس الوقت لا يؤكدون وجوده.

ويدعى بعض الملحدين أن الدين هو أفيون الشعوب كما قال فيلسوف الشيوعية كارل ماركس Karl Marx (فيلسوف وعالم إقتصادي ألماني، ومؤسس الشيوعية). فأغلبية الناس غير متعمقين في العلم وليسوا من الذكاء حتى يدركوا أن الدين هو مجرد خرافات وإختراعات بشرية... والحقيقة هي أنه لا توجد علاقة بين المستوى العلمى أو المالى أو الإجتماعى بمعتقدات الشخص. فأغلب الدراسات التى حاولت أن تكتشف علاقة بين إرتفاع مستوى التعليم والإلحاد لم تؤكد هذا.

وفى التاريخ أمثلة علماء مثل نيوتن و باسكال... بل ومن الفلاسفة مثل رينيه ديكارت... من وصل إلى حتمية وجود إله بمجرد التفكير المنطقى.

ومن أشهر الملحدين المعاصرين هو أنتونى فلو Anthony Flew الذى آمن بوجود إله فى أواخر حياته وكتب كتابه الشهير There is A God.

فالإختلاف ليس بين العلم والله... بل بين علماء مؤمنين وعلماء ملحدين، وتطور العلم ليس هو السبب الرئيسى فى إلحاد الكثيرين، فأسباب الشك كثيرة.

ما بين يديك أيها القارئ العزيز هو مقدمة عن الإلحاد وكيفية الرد عليه. فى هذا الكتاب ستتعرف على أسباب الإلحاد وستجد إجابات على الأسئلة الشائعة للملحدين وإثباتات لوجود الله تعتمد على المنطق والنظريات العلمية... فمع الملحدين لا يكون للإيمان احتمالية إلا إذا اتفق مع العقل. ولا للتراث أهمية إلا إذا توافق مع العلم... فلا يوجد فى الإيمان ما يعتمد على الأغلبية ولا يفيد الصوت العالى فى إثبات أى شئ... فإليك عزيزى القارئ هذا الكتاب.

الفصل الأول

أسباب الإلحاد

السائد في مجتمعاتنا الشرقية هو التدين... ويرى الكثيرون أننا "شعب متدين بطبعه". ينطبق هذا على المصريين على مر التاريخ... فلهذا نجد أن معظم الأفكار الإلحادية في مصر هي رد فعل لمعتقدات مجتمعنا المنغلق... فما أن يجد الشخص منفذه في الإنترنت أو الإختبارات الشخصية في البلاد الغربية... فيصطدم مع موروثاتنا الرجعية... فتكون عثرة أمامه في طريقه للإيمان بالله. وعندما يتحدث الشاب إلى أهله كاشفاً بعض تساؤلاته... يجد الغضب والعصبية طارقةً بابه... فالأهل لم يعتادوا الشك والتفكير النقدي.

وبهذه العقلية ذاتها يتسابق الأهل في الإجابة عن أسئلة أبنائهم... فنجد من يسألهم عن سبب التساؤل مثل "هو أنت بتسأل ليه؟" أو من يهتمهم بالزندقة "إيه اللي طلع في مخك الحاجات ديه؟" أو من يختصر الطريق إلى "هي كده... طول عمرنا عارفينها كده... أنت بقى اللي حتخترع حاجة جديدة؟" أو ببساطة يتهم الشيطان وحرابه مثل "أنت شكلك كده الشيطان بيحاربك... روح اتناول وكله حبيبي كويس". وبعد هذه الإجابات "المريحة" يبقى الوضع على ما هو عليه... وعلى المتضرر اللجوء للإلحاد.

فالتطبيق الخاطئ للتدين هو من أكثر الأسباب المؤدية للإلحاد.

التطبيق الخاطئ للدين:

لقد أدى التطبيق الخاطئ للدين لشروط عديدة مما أعثر الكثيرين. فبسببه خاضت أوروبا الكثير من الحروب تحت ستار الدين. وكذلك السلطات الواسعة لبابا روما أدت إلى فساد المؤسسة الدينية... والسلطة المطلقة دائماً تؤدي إلى الفساد المطلق absolute power corrupts absolutely. فمع وجود السلطة الدينية أياً كانت نجد قمع للحريات واستبداد للسلطة.

ومن ناحية أخرى نجد الفساد الأخلاقي داخل المؤسسات الدينية من عوامل تشكيك الناس في الدين. فالأخبار المتكررة عن وجود كهنة داخل الكنائس الغربية ممن يرتكبون جرائم جنسية مع الأطفال لا شك أنها أثرت سلباً على الدين عامة. كذلك مدعى التقوى الذين يسرقون أموال الناس باسم الدين. وغير ذلك الكثيرون ممن يتسترون بالدين أو يمثّلونه يسيئون إلى الله “فلا يدخلون ولا يدعون الداخلين يدخلون”.

وجود الشر والألم:

وجود الشر والألم يشكك الكثيرين في وجود الله.

فمن أشهر الأقوال في هذا الموضوع:

- هل يريد الله أن يمنع الشر لكنه لا يقدر؟ إذاً هو إله عاجز!
- هل يقدر لكنه لا يريد؟ إذاً هو إله شرير!
- هل يقدر ويريد؟ فمن أين أتى الشر؟
- هل هو لا يقدر ولا يريد؟ لماذا إذاً نطلق عليه إله؟!

ومن الشرور ما يتعلق بالأحوال الشخصية، فالكثير من الحالات التي فقدت الإيمان اهتزت بسبب فقدان شخص عزيز أو ظروف معيشية قاسية. وفي هذه الظروف

الصعبة يسأل الشخص نفسه: “إذا كان الله يحبني، لماذا لا يرفع عني التجربة؟” أو “هل من المعقول أن الله يحبني وهو لا يستجيب لصلاتي ويتركني لكل هذا الألم؟”... وتظل هذه الأسئلة تتزاحم في عقله إلى أن يصل إلى الإقتناع بعدم وجود الله... فالتجربة لا تزال موجودة والألم يزداد على الرغم من الصلوات المتكررة، فأين هو الله؟

النظريات العلمية:

في أوروبا والدول المتقدمة نرى جدالاً سياسياً حول تعليم نظرية التطور (Evolution) في المدارس للأطفال وهي النظرية التي اشتهرت خطأً بتعريف أن الإنسان أصله قرد. أما نحن في بلدنا العزيز تعودنا على الرقابة على العلم كما على المصنّفات الفنية... فلا تُدرّس النظرية في الجامعات بشكل واسع كما هو في الغرب، ولا بذل رجال الدين مجهوداً كافياً في الرد عليها أو حتى دراستها من بعيد. فرد فعل مجتمعنا يقتدى بالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال خوفاً من مواجهة الحقيقة.

بالتالي يظن البعض أنه أمام نظرية متعارضة مع قصة الخلق في الكتاب المقدس... فالنظرية تقول أن الإنسان أصله مشترك مع القرد... وقد تدعى النظرية أن الحوت هو النسخة المعدلة من سيد قشطة وان أصل كل الكائنات هو خلية واحدة... فكيف نقبل قصة تبدو الآن خرافية وهي أن آدم وحواء هما مخلوقان من الله مباشرة؟

ومن النظريات المشككة في قصة الخلق في الكتاب المقدس هي التأريخ الكربوني للحفريات. فالعلم الآن يؤكد أن الإنسان عمره ٢٠٠ ألف سنة وأن كوكب الأرض عمره ٤,٥ بليون سنة أو أكثر... بينما الحسابات المبنية على سفر التكوين وبقية الكتاب المقدس تشير إلى أن عمر الإنسان على الأرض هو (٧٠٠٠ - ١٠٠٠٠) سنة فقط.

ومن أشهر المروجين لنظرية التطور هما البريطاني ريتشارد دوكنز Richard Dawkins والفيلسوف الأمريكي دانيال دينيت Daniel Dennett.

• سبباً آخر من أسباب الإلحاد...

الثقافة العلمانية:

قد يلحد البعض بسبب تأثير الثقافة المحيطة. ففي الدول المتقدمة يجد الإنسان نفسه في عالم منظم... لا حاجة لنا فيه لمعجزة لإيجاد أبسط احتياجاتنا.. فقد إعتدنا في مصر على التشقق بالقدسين لمجرد إيجاد مكان لركن السيارة! لكن عندما يسافر الشاب إلى الخارج يجد أن كل شئ منظم وأن العدالة سائدة بنسبة كبيرة... والعمل والعلم هما الهواء الذي يتنفسه الشعوب المتقدمة. فكل شئ له تفسير وخاضع للسؤال، ولا يوجد مكان للتعصب أو التهديد بالكفر (ولو ظاهرياً).

وللأسف ينشغل الكثيرون بالإنهيار بالثقافة الغربية ويستهلكون حياتهم سعياً وراء المال أو التقدم الممى. ففي أمريكا هوس بفكرة النجاح الممى... وإذ يدور الكثيرون في هذه الساقية ينسون الله شيئاً فشيئاً ويتشبهون بأهل العالم حتى يصلوا إلى مرحلة الإلحاد.

ويندرج تحت بند الثقافة أيضاً الإنحلال الأخلاقي للمجتمع. فالكثير من البلاد الآن تعترف بالشذوذ الجنسى وتعتبر تعاليم الكتاب المقدس التي تدين الشذوذ كأنه تفكير رجعى ومتطرف. فإذا كان الكتاب المقدس ضد مبادئ التسامح مع المثليين (هكذا ينادون) فكيف نعترف بوجود الله كإله محب لكل البشر؟

وهنا تؤدى الثقافة الخاطئة إلى التمرد على الله. فالكثير من الذين يدعون الإلحاد هم معترضين على وصايا الله... إذ يجدون الله عائقاً أمام ملذاتهم يستسهلون رفض الله عن التوبة. مشكلة هؤلاء هى ليست إنكار وجود الله، هم فقط لا يريدون أن يلعبوا طبقاً لقواعد أى شخص آخرويفضلون أن يسودوا بأفكارهم الخاطئة عن أن يكونوا تابعين لقواعد صحيحة لكنها لا تخدم شهواتهم.

وقد يصل الأمر إلى نوع من السخرية من المتدينين! ففى بعض الجامعات المتميزة كهارفارد وأكسفورد قد يجد بعض الطلبة حرجاً فى الإعتراف بإيمانهم أمام أقرانهم الملحدين إذ يعتبرون الدين "فكر رجعى" أو (taboo) غير مواكبة للعصر.

التربية:

من أسباب الإلحاد هى التربية. بعض الأحيان يكون الأهل ملحدون وبالتالي يتأثر الأبناء بمعتقدات والديهم، وكما قال المثل: "إذا كان رب البيت بالدف ضارب.. فشيمة أهل البيت الرقص"

وللأسف بعض الأهالى المؤمنين ينقرون أولادهم من الله... فمنهم من يصور لأبنائه أن الله يراقب تصرفاتهم وسيعاقبهم إن أخطأوا... فينشأ الأطفال بفكرة أن الله هو إله يحتفظ بقائمة من الوصايا ولا هم له سوى مراقبة الناس إذا ما كانوا ينقذون تلك الوصايا... وإعداد النار الأبدية للذين يخالفونها.

فى أحيان أخرى تكون التصرفات الخاطئة للأهل هى السبب فى إلحاد أبنائهم، فقسوة الأب فى تربية أبنائه قد تدفعهم إلى التمرد على أى سلطة يواجهونها حتى الله نفسه.

الفصل الثاني

كيف نرد على الملحدين

- فكرة الأرضية المشتركة وأخطاء شائعة في المناقشات
- أسلوب المناقشة
- أساليب الإقناع

الأرضية المشتركة:

بما أننا لم نتعود التفكير النقدي، نقع كثيراً في أخطاء منطقية خلال مناقشاتنا مع الملحدين. فعندما يأتي الملحد سائلاً عن الله، نجد البعض يلجأ إلى قصص شخصية مع الله لا تمس عقل السامع. فالملحد لا يؤمن بالأحاسيس الفردية... ولا إن قلت له أن أحد القديسين صنع معك معجزة سيغير موقفه... فهو لا يؤمن بالمعجزات. فما هي إذن الأخطاء الشائعة التي نرتكبها عندما نناقش الملحدين؟

• من الأخطاء السائدة استخدام الكتاب المقدس مباشرة وبإلحاح في مناقشة الملحدين أو أقوال الأباء القديسين، فالكتاب المقدس ليس ضمن الأرضية المشتركة بيننا وبين أغلب الملحدين. ومع ذلك لا يعتبر اقتباس حكمة أو فكرة منطقية من أقوال الأباء أو الكتاب المقدس خطأ إذا كانت الحجة تعتمد على المنطق فقط وليس السلطة الإلهية أو القدسية للنص.

• من ضمن الأخطاء الشائعة عندنا خاصة كمسيحيين هي اللجوء لفكرة الإحتياج للفداء والخلاص، فإن أشار المؤمن إلى إحتياجنا للفداء يعتبره الملحد مجرد إفتراض وكأنه يشاهد فيلم من المنتصف فهو لا يستوعب الهدف من الصليب ولا التجسد.

• ليس من الضروري أيضاً أن يكون الملحد من المعتقدين في نظرية التطور. ولذلك لا يجب أن نتسرع في الرد على نظريات من المحتمل أن يكون الملحد نفسه غير مقتنع بها. فهذا يضعف موقف المتناظر المؤمن إذ أنه لا يتبع الحيادية في المناقشة.

• ويوجد ما يسمى بخطأ "إله ملء الفراغ" " God of the gaps "... فالكثير من الكتاب المتدينين اعتمدوا على تأخر العلم في زمانهم ليفسروا أى شئ يجمله العلم بوجود الله. فمثلاً اعتمد الكثيرون على قصة الخلق في الكتاب المقدس لإثبات أن الإنسان هو مركز الكون وأن الشمس تدور حول الأرض وأن النجوم ما هي إلا مصابيح وضعها الله في السماء لإضاءة الليل. والحقيقة أن الكتاب المقدس برئ من كل هذا وأن المسيحيين في مواقف كثيرة أساءوا إلى الكتاب المقدس والله بهذه الإدعاءات مستغلين تأخر العلم آنذاك. فما أن اكتشف العلم عكس ما قالوا حتى تشكك الكثيرون في الكتاب المقدس. ولذلك نود أن نضع قاعدة أساسية وهي عدم وضع الله بشكل مباشر كتفسير لأى شئ نجمله.

• في كل الأحوال يجب التذكر دائماً أن الأرضية المشتركة مع الملحد هي المنطق والعلم والمبادئ الإنسانية.

أسلوب المناقشة:

المحبة هي أهم صفة يجب أن يتحلّى بها الشخص إذا دخل في نقاش مع الملحد. فليس الهدف هو كسب المناقشات ولا الظهور بمظهر المعرفة. فالسعى وراء الحقيقة بحيادية هو أكثر ما يجذب الإنسان عامةً إلى المناقشة والإقتناع بالأراء المختلفة. وبالطبع لا مكان للهجوم الشخصى على أى أحد في المناقشات الجادة، ولا قيمة للعصبية والإنفعال لفكرة ما في إثبات صحتها بل العكس هو الصحيح.

من أهم ما يجب اتّباعه في المناقشة هو الإعتراف بالخطأ أو الجهل في أمر ما... فنحن شعب معروف بإدلاء أرائه بدون أدلّة (الفتي). ولذلك الوصول لنتيجة ما دون أدلّة موثقة ودقيقة يعتبر خيانة للحيادية عند الملحد وينزع الثقة في أدلّة وجود إله.

ومن ضمن الأخطاء مقاطعة المتكلّم أو عدم إعطاؤه الوقت الكافي للرد. كل هذا يوحى بالهجوم الشخصي وعدم الحيادية في المناقشة.

أما ما يشجّع على المناقشة المثمرة فهو إيجاد إختبارات مشتركة والموافقة على النقاط المشتركة. ففي أحيان كثيرة يكون المنطق الذي يستخدمه الملحد هو نفسه الذي يقوده إلى الإعتراف بوجود الله. فمثلاً نجد الكثير من الملحدين يستنكرون على الله فكرة وجود الألم والشر ولكنهم يعودون ليسألوا أنفسهم كيف أنهم يعرفون التمييز بين الخير والشر إلا من خلال وجود الضمير والعقل. وكيف أن العلم لا يجيب على أسباب وجود الضمير إذ أن العلم مشغول بالإجابة عن الآليات وليس الأسباب. وتظل هذه التساؤلات تشير إلى تفسير منطقي واحد وهو وجود إله.

لقد استخدم السيد المسيح هذا الإسلوب مع الكثيرين إذ لم يتعصب لفكرة أو يبدأ بالهجوم.. بل بإسلوبه الرقيق كان يقود المتحدث إليه بالتدرج إلى الإجابة الصحيحة. ففي قصة الشاب الغني الذي أتى ليسأل السيد المسيح عن المدخل للحياة الأبدية... عرف المسيح أنه ناموسى واستخدم خلفية هذا الشاب بسؤاله: "ما هو مكتوب في الناموس؟ كيف تقرأ؟" (لو ١٠: ٢٦) وبعدها مدحه السيد المسيح قائلاً "بالصواب أجبت أفعل هذا فتحياً" (لو ١٠: ٢٨)

أساليب الإقناع:

يخطئ البعض بالظن أن المنطق وحده فقط هو أداة الإقناع في المناقشات، فكما رأينا سابقاً أن الكثيرين ممن ألدوا كانت أسبابهم عاطفية بسبب ألم ما... أو أخلاقية بسبب اعتراض أفعالهم مع الوصايا الإلهية.

فأساليب الإقناع ثلاثة:

المنطق ، العاطفة ، المبادئ.

ونجد أن السيد المسيح استخدم الأساليب الثلاثة في الكثير من مناقشاته. ففي حديثه مع الشاب الناموسى بدأ يقصّ عليه بالتفصيل قصة السامري الصالح لكي يقنعه أن القريب ليس مَنْ هو أقرب من الناحية العائلية بل مَنْ يفعل عمل الرحمة. فكانت التفاصيل التي ذكرها السيد المسيح عن الرجل المضروب الملقى على الطريق تهدف إلى تحريك العاطفة نحو مساعدة هذا الشخص... وفي نفس الوقت كان مرور الكاهن واللاوى بهدف الإفتراض المنطقي أن هؤلاء هم من أفضل الناس في تنفيذ الوصايا ومن المفترض أنهم سيتحركون لمساعدة هذا المسكين المضروب. وكان عمل الرحمة وسخاء الرجل السامري في حديثه مع صاحب الفندق “اعتن به ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعى أوفيك” هو الإمتثال بالمبادئ السامية. ولذلك كان من السهل على الشاب أن يجيب السيد المسيح قائلاً: “الذي صنع معه الرحمة” هو الأقرب. (لو ١٠:

(٣٧

الفصل الثالث

حُجج منطقية تدل على وجود إله

لقد وصل الكثيرون إلى فكرة وجود إله اعتماداً على المنطق فقط. وينطبق هذا على الحضارات القديمة حيث كان العلم بدائياً كما ينطبق الآن على أكثر الشخصيات علماً ومعرفة في عصورهم مثل الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت والرؤساء الأمريكيين جورج واشنطن وتوماس جيفرسون والمفكر الأمريكي بنيامين فرانكلين.

فالزعم بأن إنتشار فكرة الآلهة عند الحضارات القديمة كان سببه بدائية العلم هو غير صحيح. فالعلم تقدّم كثيراً ولكنه مازال تاركاً الكثير من التساؤلات بدون إجابة وسيظل هكذا...

فالعلم مشغول بالإجابة عن "كيف تحدث الأشياء؟" وليس "لماذا تحدث الأشياء؟". ويعتبر الإعتقاد على النقص العلمي خطأً منطقي كما ذكرنا سابقاً فكرة "إله الفراغات" "God of the Gaps" لأن أدلة وجود الله هي أدلة إيجابية وحجج منطقية مضى عليها الزمن ومازالت قائمة ونعتقد هنا أنها ستزال قائمة مهما تقدّم العلم.

الوجود Argument from Existence

لعلنا سمعنا كلنا عن المقولة الشهيرة "أنا أفكر إذاً أنا موجود" "I think, therefore I am" والتي قالها الفيلسوف الفرنسي رينييه ديكارت. هذه العبارة كانت أول ما وصل إليه هذا الفيلسوف عندما قرر الشك في كل شئ حتى في وجوده شخصياً... فأهداه عقله أنه لا بد أن يكون موجوداً إذ أنه يفكر!

وتعتبر إحدى الإستنتاجات التي وصل إليها ديكارت هي وجود الله... فلقد وصل إلى أنه موجود إذ أنه يفكر وفي نفس الوقت لم يكن السبب في وجوده ذاتياً (أى أنه لم يوجد نفسه)... فلا بد من وجود شخص ذو قدرة وإرادة أوجدته... فلقد شك ديكارت في وجود نفسه ثم وجود من حوله ووصل إلى أنه موجود وأن الله موجود حتى وإن كان كل ما يراه خيالات يخترعها عقله.

وشك ديكارت أنه ربما يكون مخدوع في وجوده... فمن الممكن أن يكون هذا الكائن (الإله) الذي أوجده هو مجرد كائن مخادع يوهمه أنه موجود. وعلى كل الأحوال فهذا الافتراض مازال يشير إلى وجود إله سواء إله طيب أو مخادع!

ولكن ديكارت بدأ يتساءل عن طبيعة هذا الإله وإذا كان وجوده خيراً أم شراً. وبعد صفحات عديدة من التفكير أوجزها لك عزيزي القارئ إقتنع ديكارت أن الوجود خير من العدم. فإذا كان الشيطان أوجده لما أعطاه القدرة أن يكتشف أنه مخدوع، بل سيخدعه دون إعطاؤه القدرة على إيجاد الحقيقة... ولكن بما أنه يفكر ويستطيع الشك في احتمالية أن يكون مخدوعاً فلا بد أن الذي أعطاه هذه القدرة هو إله طيب وأن الوجود هو خير في ذاته وليس شراً. وإنتهى المطاف بالفيلسوف العظيم بعد مشوار طويل من التفكير أنه موجود وأن الله موجود وأن الله إله طيب.

العلة الأولى: Cosmological Argument

تشبه هذه الحجة ماتفكر به ديكارت، فالمبادئ المنطقية التي وصل إليها الإنسان منذ القديم هي:

• كل شئ نراه له بداية (كل شئ خاضع للتجارب العلمية، أى الطبيعة كلها، له بداية). فالعلم يؤكد أن بداية العالم هي الانفجار الكبير (The big bang). فالسؤال إذاً هو ماذا حدث قبل الانفجار الكبير؟ لذلك لابد أن يكون مَن بدأ كل هذا لا بداية له وإلا لصار مثل باقى الأشياء التي لها بداية.

• لا يوجد شئ تسبب في وجود نفسه أو أدى إلى وجود نفسه. فكل إنسان أتى من أب وأم. وكل سيارة أتت من خلال عملية تصنيع. ولذلك مَن تسبب في وجود كل الأشياء لابد أن يكون موجود بذاته وإلا لصار مثل باقى الأشياء التي تحتاج سبب لوجودها.

• من القاعدتين السابقتين نستنتج أنه يجب وجود كائن غير مادي بلا بداية ولا سبب لوجوده، وهو الذى تسبب في وجود سائر الكائنات.

تصميم الكون: Teleological Argument

إنهم الكثير من العلماء عندما اكتشفوا أن الكون يسير حسب نظام ثابت ، وقد أدى ذلك إلى إقتناعهم بوجود إله. فالتسلسل المنطقى كالتالى:

• الكثير من الأشياء الموجودة غير عاقلة. فلا الشمس عاقلة ولا القمر ولا البحر ولا الأرض... على سبيل المثال.

• الكثير من الأشياء الغير عاقلة تتحرك حسب نظام معين يؤدي إلى مناخ مناسب للحياة. فالأرض الغير عاقلة تدور حول الشمس كل ٣٦٥ يوم وتدور حول نفسها كل ٢٤ ساعة مما يؤدي إلى الفصول الأربعة والنهار والليل.

• يجب وجود كائن عاقل وضع هذا النظام الذي تسير عليها الأشياء الغير عاقلة.

كلما إزدادت الدقة والتعقيد في التصميم كلما اقتنعنا بوجود ذكاء أعلى وراء ما نراه. على سبيل المثال نجد أن تصميم الورقة أبسط من تصميم "فلاشة USB" التي هي أبسط من الحامض النووي. وحجم المعلومات الذي يمكن حفظه في الورقة أقل من المعلومات التي يمكن حفظها في "الفلاشة" التي هي أقل مما يمكن حفظه في الحامض النووي رغم انه الأصغر حجماً. ولذلك من السهل الإتفاق على أن مستوى الذكاء وراء تصميم "الفلاشة" أعلى من مستوى الذكاء وراء تصميم الورقة والذكاء وراء تصميم الحامض النووي هو الأعلى ويشير إلى وجود إله عاقل وراء الكون.

والحقيقة أن إيمان الكثير من العلماء بوجود إله هو الذي دفعهم للإكتشافات العلمية... فلولا إيمان نيوتن بوجود عقل واضع لنظام هذا الكون لما فكّر في وجود نظام للجاذبية بل كان قد إكتفى بأكل التفاحة المشهورة أو تركها!

ضوابط الكون: Fine tuning of the universe

عندما نريد سماع الراديو لا يتوقف جهدنا على تشغيله... فلا بد من "تقليب" القنوات حتى يأتي تردد القناة التي نريدها... وأى زيادة أو نقصان في التردد لا يأتي بالنتيجة المطلوبة... فإما أن نضبط التردد ونسمع ما نريده أو لا نسمع سوى "غلوشة"...

هكذا الكون أيضاً. كل الثوابت الفيزيائية كجاذبية الأرض وسرعة دورانها حول الشمس ونسبة الغازات في غلافها الجوى وثوابت أخرى لا حصر لها تقع في نطاق ضيق... فإذا تغيرت إحدى هذه الثوابت لإنهارت الحياة على الأرض ولم تعد مأوى مناسب للكائنات الحيّة. وإلى الآن لا تفسر نظرية النشوء والإرتقاء كيف تطور الكون لكي يكون مناسب للحياة... فالنظرية تدّعي تفسير تنوع الكائنات الحيّة ولكنها لا تفسر

وجود العوامل الفيزيائية بهذا الشكل الذي يتيح لوجود حياة... ولكن يبقى السؤال:
أليس من الممكن أن هذه العوامل تجمّعت بالصدفة؟

هناك المليارات من الكواكب والنجوم... فلا بد أن الإحتمالات سمحت أن إحدى
هذه الكواكب جاءت بهذه الخصائص بالصدفة... وأنه بالصدفة أيضاً وُجدت
الخلية... وبالصدفة كانت الخلية تحتوى خاصية التكاثر... وبالصدفة تطورت هذه
الخلية إلى ديناصورات وحيوانات وأشجار وأسماك إلخ. فما هي الإجابة؟
لقد تم عمل تجربة لمعرفة ما إذا كانت "الفوضى الخلاقية" ممكنة...

قام المركز القومى البريطانى للفنون British National Council of Arts بوضع
آلة حاسبة فى قفص به ستة قرود... وبعد شهر من ترك القرود تقفز على لوحة
المفاتيح Keyboard أَلْف القرود خمسين صفحة... ولم يكن فى أى من هذه
الصفحات كلمة مفيدة بما فهم كلمات من حرف واحد مثل "a" أو "I"!! وإذا أردنا
حساب إحصائية تأليف كلمة واحدة من حرف واحد فى اللغة الانجليزية فهى كالاتى:

• عدد المفاتيح فى ال Keyboard ٣٠ مفتاح

• أقصر كلمتين فى اللغة الانجليزية هما كلمة "a" وكلمة "I"

• كلمة "a" أو "I" عبارة عن " [space [I] space]" أى يجب على القرود

ضغط زر ال space ثم حرف "I" ثم space حتى يأتوا بكلمة واحدة

١٣٠ x ١٣٠ x ١٣٠ أى: ١٢٧.٠٠٠ فماذا يعنى هذا؟

إذا أردنا ترك القرود لتأليف إحدى مؤلفات الكاتب شيكسبير "Shakespeare

(١٢٦) ٤٨٨ أى ما يقارب (١١٠) ٦٩٠ فهذا العدد لمجرد تأليف مؤلف واحد فقط

لشيكسبير... وهذا العدد أكثر من عدد الجزئيات فى الكون كله وهى مقدرة بـ (١٠) ٨٠ أى لا

يوجد أصلاً العدد الكافى من الجزئيات فى الكون كله لكتابة مؤلف واحد قصير من

شيكسبير بالصدفة!!

فما بالك إذا وضعنا مؤلفات كل البشر والجينات لكل الكائنات و.... إلخ.

فلا يمكن للصدفة إطلاقاً أن تؤدي إلى كل هذه الخليقة.

لا نهائية المعرفة:

هذه الحجة تتخذ من لا نهائية المعرفة ومحدودية معرفة الإنسان كدليل على وجود الله. فكما يتقدم العلم نكتشف أسئلة أكثر من الإجابات... ولا يدعى العلم أنه يمكن أن يصل إلى كل الإكتشافات وإلا ساعتها لن نجد مَنْ يتقدم ليلتحق بكليات العلوم لأن العلم “خِصص” !! وما ينطبق على العلم ينطبق على الفنون... فالموسيقى لا نهائية... فبعد الطفرة الموسيقية التي أحدثها باخ وموتزارت وبيتهوفن وشوبان... ظهر مؤلفون جدد بموسيقى مختلفة مثل رحمانينوف وتشايكوفسكى وسكريبين... وما زال إلى الآن لا يتوقف الفن عن التغير والتطور فلا توجد نهاية له.

ومعرفتنا بأن لا نهاية للعلم والفن تجعلنا كبشر نتطلع إلى الجديد دائماً. ولعل وجود هذه الخاصية لدى الإنسان، وهي التطلع إلى ما هو جديد من الخصائص المميزة إذا قارناها بالكائنات الأخرى... فالقرد مثلاً لا يتطلع إلى صنف جديد من الأكل... ولا يهتم بالمستقبل كثيراً... ولا حتى قليلاً!

أما إذا كان العالم محدود المعرفة... وفي نفس الوقت تطور الإنسان إلى كائن يتطلع إلى المعرفة الجديدة دائماً... لأصبنا كلنا بالإكتئاب ولكانت الحياة سيئة ومملة إلى أبعد الحدود.

وبما أننا كلنا محدودى المعرفة ولكننا أيضاً نعرف أنه لا حدود للمعرفة، فكيف أتت إلينا هذه الفكرة... كيف أننا ككائنات محدودة عندنا فكرة عن اللامحدودية إلا إذا كانت هذه الفكرة دخيلة علينا من كائن غير محدود هو الذى وضعها فينا ولعل هذه الحجة تتشابه مع ما فكر به الفيلسوف الإغريقى أفلاطون الذى كتب عن فكرة

الكمال Perfect Forms

الكمال: Perfect Forms

كتب أفلاطون أفكاره على لسان معلمه سقراط ودارت الكثير من المناقشات حول الأشياء الكاملة... فالكل كان يعرف أنه لا يوجد شئ كامل... حتى الدائرة التي كان يرسمها معلموا الرياضيات بها عيوب... فهي ليست دائرة كاملة... وتساءل أفلاطون عن كيفية معرفة البشر بالكمال على الرغم أنه غير متاح في الطبيعة حولنا... فلا يوجد شئ حولنا كامل... ومع ذلك نقدر نظرياً معرفة الأشياء على كمالها... فكلنا نعرف شكل الدائرة... أو الخط المستقيم ولكن عندما نرسم أى خط أو دائرة فلا بد أن بها عيب نستطيع أن نراه أو نكتشفه بأدوات دقيقة. فكيف عرفنا الكمال؟

يرى الإغريق أن كل شئ نراه له وجود كامل في العالم الآخر Perfect Form فهناك أرنب كامل في العالم الآخر... وهناك دائرة كاملة أيضاً... إلخ.

ولذلك كان يجب منطقياً عند الإغريق وجود آلهة... هذه الآلهة هي التي أوجدت كمال الأشياء... وهي التي وضعت فينا معرفة الكمال وأن ما نحن فيه على الأرض ما هو إلا ظل الأشياء الكاملة في العالم الآخر.

الخير والشر:

يستطيع أى إنسان معرفة الخير من الشر... فحتى قبل وجود الناموس عرف يوسف الصديق أن الزنا خطأ... ورفض الخطية حتى بدون وصية واضحة... فكيف عرفنا الخير من الشر؟

حاول الكثير من الفلاسفة أن يفسروا أصل وسبب وجود معرفة الخير والشر لدى الإنسان... من أشهرهم نيتشة Nietzsche وهو فيلسوف ألماني عاش في القرن التاسع عشر الذي ألف كتاب عن هذا الموضوع بعنوان "نسب الأخلاق" "on the genealogy of morals"... وخلاصة ما وصل إليه نيتشة هو أن العقاب الجماعي هو الذى أدى إلى تطور الضمير والأخلاق. فإذا افترضنا مثلاً أن في العصور القديمة أحد

للصوص سرق أموال ليست له... وعند معرفة الشعب هذه السرقة اجتمعوا وقرروا معاقبة هذا اللص... وبالتالي كلما تكررت السرقات تكررت معها العقوبات... حتى ثبت في أذهان الناس كلها أن السرقة أمر مكروه ومن ثم هي خطأ... إلى هنا انتهى تفسير نيتشة.

هناك خطأ في هذا التفسير:

• لماذا قرر الناس معاقبة السرقة إذا كان ليس لديهم ضمير لمعرفة الخير والشر؟... كيف أدركوا أن السرقة خطأ؟ فهذا التفسير الذي وصل إليه نيتشة يصل بنا إلى مشكلة “البيضة والفرخة”. فإذا كان مصدر معرفتنا للخير والشر هي العقوبة... فمن أين عرفنا أن السرقة شر حتى نعاقب اللص على ارتكابها؟

• معاقبة اللصوص بالتكرار لا تؤدي إلى وجود أو تطور الضمير الإنساني بل مجرد الخوف مما يغضب المجتمع. ففي تجربة مماثلة لما طرحه نيتشة، تم وضع مجموعة من القردة في قفص كبير وتم وضع “موزة” في سقف القفص يصل إليها سلم... وكلما حاول أحد القردة أن يصل إلى الموزة يتم معاقبته... وقد تكررت محاولات القردة أن يصلوا إلى الموزة وكان نصيب كل من حاول أنه نال العقوبة... حاول الكل مراراً وتكراراً... إلى أن وصل القردة إلى تفضيل البقاء على الأرض بعيداً عن الموزة... يكتفون بالنظر إليها بنظرات الشوق لكن لا يتجرأون على الصعود إليها.

بعد كل هذا، هل نستطيع القول أن ضمير القردة تطور إلى أنه عرف أن إشتهاء الموزة خطأ؟ كلا. كل ما حدث أنهم عرفوا أن العقاب ينتظر من يتسلق إلى الموزة... فخافوا من الصعود. وهنا الاختلاف بين الخوف والضمير.

فإذا تركنا القردة لوقت كافي دون عقوبة حتى يهدأوا، سوف يحاولون التسلق من جديد دون أي تأنيب ضمير.

هناك إختلاف ثاني بين تجربة القردة وما طرحه نيتشة... وهو أن العقوبة لم تكن من جموع القردة بل من البشر الذين قاموا بالتجربة... فإذا أردنا أن نختبر تفسير

نيتشة لتطور الضمير لكان من المفروض أن القردة تقوم بمعاينة القرد المتسلق إلى الموزة عقاب جماعى... وهو ما لم يحدث بالطبع... فوجود البشر الذين درّبوا القردة على عدم التسلق إلى الموزة يشبه وجود الله الذى وضع الضمير فى الإنسان... فمعرفة الشر فى كلتا الحالتين احتاج إلى قوة خارجة عن الجماعة.

إذا كان الله موجود فمن خلق الله؟

يفترض هذا السؤال أننا نؤمن بالله مخلوق. فالتعريف الذى توصلنا إليه من خلال حجة العلة الأولى هو أن الله كائن غير مادي لا بداية له ويستمد وجوده من ذاته. القمر يستمد نوره من الشمس، أما الشمس فهي مصدر النور. هكذا الإنسان كالقمر يستمد حياته من الله، والله هو مصدر الحياة.

لماذا لا يظهر الله؟

أولاً: عدم رؤيتنا الله لا يعنى عدم وجوده، فليس كل ما لا نراه غير موجود... فعلى سبيل المثال ظلّ العلماء يؤمنون بنظرية وجود الجراثيم التى تسبب الأمراض لعدة قرون منذ عام ١٥٤٦ على الرغم من عدم وجود أدلة على هذه النظرية حتى عام ١٨٥٠، ولو كان كل ما لا نراه غير موجود لكان من الحق الجزم بعدم وجود أشعة ال-X-Ray والى تم إكتشافها عام ١٨٩٥! ... ولذلك لا يعتبر عدم رؤيتنا لشيء إلغاء لوجوده، بل أن جزء من الدليل على وجود أى شئ لا نراه يكمن فى سبب طرح السؤال نفسه... فلو لم تكن هناك أدلة على وجود الله لما اعتقد أحد فى وجوده على الرغم من عدم ظهوره تماماً كإيمان العلماء بوجود الجراثيم وال X-Ray قبل إثباتها بقرون... فالله يظهر نفسه بطرق شتى.

ثانياً: يفترض هذا السؤال أن ظهور الله سيحل المشاكل الإيمانية تماماً كما يظن البعض أنهم سيؤمنون إن حدثت لهم معجزة... فهدف الله ليس تأكد الناس من

وجوده فقط بل أن يعملوا وصاياها لكي يخلصوا. وظهور الله هو مجرد وسيلة واحدة ضمن وسائل عديدة يستخدمها لخلاص الإنسان وليست هي الوسيلة الأكثر فاعلية على الإطلاق. فعلى سبيل المثال نرى المدخنين يستمرون في التدخين على الرغم من إيقانهم أن التدخين مضر... بل ومنهم من أجرى عمليات قسطرة ويستمر في التدخين! إذن تأثير الإيقان بضرر التدخين على تحسين سلوك المدخن غير مثمر بنسبة كبيرة. ومن الأحداث التاريخية الفردية والجماعية التي تؤكد ذلك أيضاً في الحياة الروحية. أن الله صنع على يدي موسى عجائب كثيرة وأخرج الشعب من أرض مصر بمعجزة رأها الكل، فماذا حدث؟ تدمر الكل على الله وشكوا في رعايته حتى هلكوا كلهم ماعدا اثنين!

وفي مثل الغنى ولعازر ظن الغنى أنه إذا قام من الأموات وظهر لأقاربه أنهم سيؤمنون... فكان رد أبينا ابراهيم له "عندهم موسى والأنبياء... إن كانوا لا يسمعون لموسى والأنبياء، ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون". (لو ١٦: ١٩-٣١).

وكذلك أيضاً عندما أقام المسيح لعازر... أراد اليهود قتل لعازر لكي يتخلصوا من الدليل على هذه المعجزة لأن كثيرين من اليهود كانوا بسببه يذهبون ويؤمنون بيسوع" (يو ١٢: ١١).

فهل بعد كل هذا نلوم الله على قلة المعجزات؟ أما الإنسان المؤمن فيقول مع داود النبي "السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه" (مز ١٩: ١ ..) فالإنسان المؤمن يرى الله في كل، شئ، بل "أننا به نحيا ونتحرك ونوجد" (أع ١٧: ٢٨) وبدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً.

ومن الناحية الروحية، نعتقد أن الله ظاهر... المشكلة في أعيننا التي لا تستطيع أن تراه وقلوبنا التي تقست بسبب الخطية... فأدم كان يعيش مع الله في الجنة ويتحدث معه... وهكذا وعد السيد المسيح أيضاً أنقياء القلب أن يعاينوا الله... والحقيقة هي أن الله سعى للظهور لنا من خلال التجسد لكي يظهر لنا بالطريقة التي نستطيع أن نراها ويحيا بيننا ويرينا الطريق، فماذا عملنا به؟ استهزأنا به وصلبناه... كما قال

الكتاب "النور قد جاء إلى العالم وأحب العالم الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة" (يو ٣: ١٩) هل كان الحل في أن يظهر الله ويعمل المعجزات؟ لا... فالمسيح جاء وصنع بينهم آيات لم يعملها أحد من قبل ومع ذلك لم يؤمنوا.

الفصل الرابع

العلم والإيمان

- (١) أليس معظم العلماء ملحدين؟
- (٢) هل تفسير الظواهر الطبيعية يلغى وجود الله؟
- (٣) هل تتعارض المعجزات مع العلم؟
- (٤) هل فكرة وجود خالق عرقلت التطور العلمي؟
- (٥) ماذا إذا كنا نتاج عملية تطور عشوائية؟
- (٦) هل العلم كافي لتفسير الظواهر الطبيعية؟ هل يمكن الإعتماد على العلم فقط في الحياة؟

(١) أليس معظم العلماء ملحدين؟

لا توجد إحصائية دقيقة لهذا الموضوع، ولكن إذا افترضنا أن هذا صحيح فلن تغير آراء الأكثرية صحة وجود الله من عدمه. فالكثير من العلماء المشهورين كانوا من المؤمنين بالله بل ومتدينين جداً مثل نيوتن وباسكال - واضع وحدة الضغط - ولويس باستير مكتشف البكتيريا وجاليليو ومندل الذي أسس علم الجينات. وفي القرن الماضي نجد أن أشهر الملحدين مثل سي اس لويس CS Lewis و أنتوني فلو Anthony Flew آمنوا بوجود إله ودافعوا عن وجوده.

وفي أواخر القرن الماضي عام ١٩٩٧ حصل العالم المسيحي وليام فيليبس على جائزة نوبل في الفيزياء وفي عام ٢٠١٣ حصل العالم الملحد بيتر هيغز على جائزة نوبل في الفيزياء أيضاً. إذن الدرجة العلمية لا علاقة لها بمعتقدات الشخص إذا كانت منطقية أم لا.

(٢) هل تفسير الظواهر الطبيعية يلغى وجود الله؟

مهما تطور العلم فهو لا يمكنه الجزم بعدم وجود إله... فالعلم مشغول بالإجابة عن "كيفية" عمل الأشياء وليس "سبب" وجودها. وفي نفس الوقت لا يلغى فهمنا لكيفية عمل الأشياء وجود "صانع" لهذه الأشياء. فعلى سبيل المثال، لا نجد أى مهندس ميكانيكى ينكر اختراع هنرى فورد للسيارة حتى وإن فهم هذا الميكانيكى كل شئ عن السيارة. كذلك فهمنا للطبيعة لا يلغى وجود صانع لها. وكما أشرنا سابقاً فى تجربة وضع القرود فى قفص حتى يؤلفوا مؤلفات ذات معنى، فإن احتمالية حدوث كل الأشياء التى تدور حولنا بالصدفة هو صفر.

وهناك أيضاً فكرة الثبات على المنطق "Consistency of Deduction"... فنفس الشخص الذى ينكر وجود الله هو من يرى لوحة فنية فيتساءل عن إسم راسمها! أو من منا إذا أرسلته وكالة ناسا إلى المريخ ووجد هناك ورقة مكتوب عليها باللغة الإنجليزية فيستنج من ذلك أنها أتت بالصدفة؟! بالطبع سوف يستنتج أن هناك شخص هو من كتب ووضع هذه الورقة... وإذا أدرك المبرمجون كيف يعمل نظام الـ "Windows" فهل سيجعلهم ذلك ينكرون وجود بل جيتس مخترع الـ "Windows"؟

لماذا إذن يختلف الأمر مع الله والطبيعة التى حولنا؟

(٣) هل تتعارض المعجزات مع العلم؟

العلم يهدف إلى شرح تكرار الظواهر الطبيعية... فالقوانين العلمية ليست قوانين يجب على الطبيعة إتباعها، بل هي قوانين تشرح كيف تعمل الطبيعة في العادة.

فمثلاً إذا وضعنا ١٠٠ جنيه في درج المكتب، نستطيع أن نتوقع حسب قوانين الطبيعة المعروفة أننا سنجد الـ ١٠٠ جنيه كما هي في الدرج في اليوم التالي... فماذا إذا لم نجد الـ ١٠٠ جنيه؟!

هل سنقول أن قوانين الطبيعة إخترقت أم سنقول أن قوانين البلد هي التي إخترقت... فإختفاء الـ ١٠٠ جنيه تعنى وجود حرامى هو الذى سرقها!!

هكذا المعجزات... هي لا تُعد اختراقاً للقوانين الطبيعية بل دليل على وجود قوة خارجية أدت إلى نتيجة مختلفة عن ما نتوقعه من النمط المعتاد والذي يشير إليه العلم. فتعريف المعجزة مبني في الأساس على العلم... إذ أن المعجزة حدوث شئ غير متوقع يدل على وجود قوة خارجة عن المعتاد.

وتصديق المعجزات يُعد أمراً منطقياً إذا كان لها شهود وموثقة. فمثلاً يبحث صاحب المال عن الـ ١٠٠ جنيه في الخزانة فلا يجدها، ويستنتج تلقائياً وجود لص قام بسرقة الـ ١٠٠ جنيه... هكذا نحن أيضاً إذا رأينا مريض قد برأ تلقائياً نستنتج وجود قوة خارجية أدت إلى شفاء هذا المريض. فالمعجزات كانت وسيلة مهمة في إيمان الكثيرين، وقد استخدمها الله في العهدين القديم والجديد لمنفعتنا... ففي قصة موسى أمر الله أن يجتمع كل الشعب حتى يرى الله وهو يكلم موسى من الجبل... وقد سمع الجميع صوت الله حتى لا يشكك أحد فيما بعد قصة الخروج أو أهمية الناموس. هكذا أيضاً قصة لعازر كانت مشهورة لدرجة أن اليهود كانوا يسعون لقتله حتى لا تستمر القصة في الإنتشار... فالرجل مات وسار الكثيرون في جنازته... وها هم الآن يرونه حياً يأكل ويشرب ويتكلم معهم! أيستطيع أحد من هؤلاء إنكار أن هذه

معجزة؟ وفي نفس الوقت تكلم الكثيرون عن هذه المعجزة وانتشر الخبر حتى تبع الكثيرون السيد المسيح.. فهل يعتبر كل هؤلاء الذين رأوا لعازر مجانين؟ بالطبع لا.

العلم يشرح الآلية “Mechanism” أى “كيف” تعمل الأشياء حولنا... أما المعجزة فهى تشير إلى الشخص “Agent” الذى “تسبب” فى حدوث الظواهر الغير معتادة.

(٤) هل فكرة وجود خالق عرقلت التطور العلمى؟

معظم العلماء العظام كانوا يؤمنون بوجود خالق... بل كانوا متدينين جداً. نيوتن أثر فى العلم أكثر من غيره... والذى لا يعرفه الكثيرون أن نيوتن كتب فى الدين واللاهوت المسيحى أكثر مما كتب فى العلم نفسه مع أنه عالم فى الأساس. ومثله لويس باستير وبليز باسكال ومندل الذى كان راهباً وهو الذى إكتشف الجينات.

ففكرة وجود إله كانت تعنى بالنسبة لهؤلاء العلماء وجود “ذكاء” و “عقل” وراء هذا الكون... وهذه الفكرة جعلتهم يؤمنون بأن الكون وراءه تصميم يمكن البحث عنه. فإذا كان الكون عشوائى لكانت فكرة البحث العلمى غير مجدية. فكل شئ عشوائى لا يسير حسب نظام معين ولا يمكن توقعه. فلماذا نحاول فهم شئ غير مفهوم؟

ولهذا كان معظم رواد التطور العلمى متدينين جداً... وفكرة وجود إله كانت دافع للمعرفة والبحث، بل كان الكثيرون يطلقون أوصاف دينية على علمهم وعلى العلماء.

فبعض علماء الرياضيات يشيرون إلى علمهم بأنه لغة الله... وكذلك بعض الناس أطلقوا على نيوتن لقب “نبي العلم” “Prophet of science”.

ومثل العلم كانت الموسيقى وباقى الفنون... فالموسيقار العبقرى باخ ألف معظم موسيقاه لصلوات القديس... وأفرد دافنشى ومايكل أنجلو الكثير من أعمالهما الفنية للكنيسة الكاثوليكية والرموز الدينية.

(٥) ماذا إذا كنا نتاج عملية تطور عشوائية؟

عملية التطور التي أفردنا لها فصلاً لاحقاً في هذا الكتاب... هدفها البقاء للأصلح “Survival of the Fittest”. والأصلح في علم الأحياء ما هو إلا الكائن الذي يستطيع التناسل قبل أن يموت... فعلى الرغم من قوة الديناميكيات إلا أنها انقضت إذ لم تكن الأصلح للظروف التي مرت بها الأرض.

ولذلك ليس هدف عملية التطور “Evolution” أن تصير الكائنات أكثر تطوراً من ناحية الذكاء... بل فقط التطور للبقاء وقد يكون هذا التطور في الحقيقة تأخر “Devolution”!! فهناك كائنات فقدت خصائص معينة – مثل فقدان الرؤية عند قواقع مائية ساكنة في أعماق المحيطات – لأنها لم تعد خصائص مفيدة.

ولذلك لا تفسر عملية التطور الكثير من الخصائص التي نتمتع بها الآن، منها السعى وراء الحقيقة. فإذا كان عقلنا هو نتيجة تطور عشوائية، كيف نثق أنه مصمم لمعرفة الحقيقة... لا يمكننا أبداً أن نثق في عقلنا إذ أنه غير مصمم في الأساس لهدف معين بل هو فقط كائن عشوائى.

لذلك الملحد الذى يؤمن أن عقله نتيجة لعملية عشوائية يناقض نفسه... لأنه لا يمكن الإعتماد على هذا العقل العشوائى في معرفة إذا كان الله موجوداً أم لا.

(٦) هل العلم كافى لتفسير الظواهر الطبيعية؟ هل يمكن الإعتماد على العلم فقط فى الحياة؟

رغم كل التقدم العلمى الذى وصلت إليه البشرية فلا يزال العلم بدائى جداً... فهناك الكثير من الظواهر حولنا لم يفسرها العلم مثل الحب. بل إلى الآن لم نصل لعلاج أكثر الأمراض إنتشاراً كالسرطان.

ونسلم عن طائرات تتحطم وتختفى... وتبوء محاولات إيجاد حطامها إلى الفشل
رغم إستخدام كل التقنيات الحديثة !

والعلم يتغير... فما وصل إليه أرسطو من نظريات صارت شائعة في عصره... أغلبها
خطأ بل ومضحك بالنسبة لنا الآن... وكل ما إكتشفه نيوتن مبني على افتراض خطأ...
والكثير من الأفكار ثبت عكسها بعد ما مات مكتشفها بخمسين سنة فقط.

وإلى الآن توجد الكثير من النظريات العلمية خاطئة... وهو ما يسمونه “Bad
Science”.

الفصل الخامس

نظرية التطور من المنطلق العلمي

تؤكد نظرية التطور أن الإنسان تطور من كائن بدائي يشبه القرود. وهذا الكائن البدائي هو الجد المشترك بيننا وبين القرود.

وهكذا كل الأنواع تطورت من كائنات بدائية... حتى أن كل الكائنات تطورت في الأصل من خلية واحدة. وهذه العملية أخذت مليارات السنين. فعمر الأرض حوالى ٤,٢ مليار سنة أو أكثر... وأول ظهور للإنسان تم منذ حوالى ٢٠٠ الف سنة.

التطور الكلى والتطور الجزئى

هناك نوعان للتطور : الكلى والجزئى:

• التطور الكلى macro evolution هو أن تنشأ أنواع جديدة من الكائنات الموجودة. فمثلاً تطور سيد قشطة إلى الحوت يُعد تطور كلى. كذلك تطور القرد إلى إنسان... تطور السمكة إلى كائن برمائي مثل الضفدعة هو مثال آخر... وهذا ما يُنادى به علماء التطور أن كل الكائنات جاءت من أنواع أخرى تطورت.

• أما التطور الجزئى micro evolution فهو ظهور أو إختفاء خصائص معينة داخل الفصيلة الواحدة. فمثلاً فقدان القدرة على النظر عند القواقع التى تعيش في قاع المحيطات المظلمة تعد من أمثلة التطور الجزئى. وأيضاً “الزائده الدوديه” عند الإنسان قد تُعد مثلاً للتطور الجزئى عند بعض العلماء.. أو بتعبير أدق “التدهور”

الجزئي... ”فالبعض يعتقد أن الزائدة الدودية“ كانت تستخدم في هضم الأعشاب عندما كان أكل الأعشاب يمثل جزءاً كبيراً من غذاء الإنسان.

• بعض العلماء يتخذون نظرية التطور الكلي كمسلمات... وهؤلاء عندهم تعصب للنظرية ويشنون هجوماً غير منطقي على زملائهم أو تلاميذهم إذا شككوا فيها. ولكي ننظر للموضوع بنظرة محايدة يجب تعريف نقاط التساؤل حول هذه النظرية:

• هل نفسر الآليات mechanisms المكتشفة إلى الآن التنوع الموجود حالياً بين الكائنات؟

• هل تشرح نظرية التطور أصل الأنواع، أي بداية الحياة على الأرض؟

• هل هناك أدلة قاطعة على نظرية التطور الكلي؟

• آليات التطور:

هل تفسر الآليات المكتشفة التنوع الموجود حالياً بين الكائنات؟

لكي نجاب على هذا السؤال يجب أولاً معرفة آليات التطور وهم :

الانتقاء الطبيعي natural selection ، الإنجراف الوراثي genetic drift ، تدفق

الجينات gene flow ، والطفرة Mutation

⊗ الانتقاء الطبيعي هو الآلية التي إقترحها داروين. فالتغيرات المناخية أدت إلى قابلية الدببة على الحياة في القطب الشمالي، وهي التي جعلت الزرافة تحيا في عصور الفيضانات إذ ساعدتها رقبته الطويلة على الأكل من الأشجار بدلاً من حشائش الأرض التي يغطيها الماء وقت الفيضان.

ومن العوامل الطبيعية أيضاً الزلازل. فحيوان الكنغرو عُرف بوجوده في قارة أستراليا فقط... ويقولون أن السبب في ذلك هو حدوث زلزال فصل بين قارة أستراليا وبقية القارات مما أدى إلى تطور حيوان الكنغرو إلى الشكل الذي عليه الآن في قارة أستراليا فقط.

ولقد صنف العلماء عملية الإنتقاء الطبيعي إلى ثلاثة أنواع:

- الإنتقاء الموجّه “Directional Selection”
- الإنتقاء المؤدى للتنوع “Disruptive Selection”
- الإنتقاء المؤدى للإستقرار “Stabilizing Selection”

• الإنتقاء الموجّه هو الذى يؤدى إلى التركيز على صفة معينة تساعد الكائن على البقاء... فكما ذكرنا سابقاً مثال الزرافة... فكلما طالت رقبة الزرافة استطاعت فى الإستمرار على الحياة خلال الفيضان... ولذلك كانت الزرافة هى فى الأصل مثل الغزالة ولكنها بسبب العوامل المناخية فى أماكن مختلفة أدت إلى التركيز على صفة طول الرقبة للبقاء على قيد الحياة.

• الإنتقاء المؤدى للتنوع هو الذى يؤدى إلى الإبقاء على الخصائص المتطرفة والتخلص من الخصائص المعتدلة. ففى الكثير من الأحيان تستطيع الكائنات الكبيرة على البقاء بسبب قوتها والكائنات الصغيرة بسبب قدرتها على الإختباء... أما الكائنات المتوسطة الحجم فتفتربها الكائنات الكبيرة.

• الإنتقاء المؤدى للإستقرار هو عكس الإنتقاء المؤدى إلى التنوع... ففى هذه الحالة تستطيع الكائنات ذات الخصائص المعتدلة على البقاء أما الكائنات القوية والضعيفة فلا تتأقلم على المتغيرات وتنقرض. المثال على ذلك الديناصورات... فعلى الرغم من قوتها وحجمها إلا أنها إنقرضت ربما ضحية حجمها الكبير إذ لم تستطيع الإختباء فى ظل ظروف عصبية مرّت بالأرض.

⊗ الآلية الثانية هى الإنجراف الوراثي genetic drift... وهى تؤدى إلى تغير المكوّن الجيني عبر الأجيال من خلال عملية التناسل الطبيعي... وهذه الآلية تعد من الآليات التى يمكن تجربتها فى زمن قصير... فنستطيع تزويج أنواع مختلفة من الكلاب وتأتى بسلالة جديدة. التجانس يستخدم أيضاً فى النباتات وبالأخص الورد، فعند تلقيح الورد يستطيع المزارع أن ينتج أشكال جديدة وفريدة.

⊗ الآلية الثالثة هي تدفق الجينات gene flow... وهي تؤدي إلى تغير المكوّن الجيني عبر هجرة الكائنات... أي حركة الجينات من منطقة من السكان إلى منطقة أخرى. ويشمل تدفق الجينات أنواع مختلفة، مثل حبوب اللقاح التي تتطاير إلى مناطق نائية أو الناس التي تنقل إلى مدن أو بلدان جديدة. وإذا ما نفذت الجينات لسكان منطقة نائية، يمكن أن يكون تدفق الجينات مصدر مهم للإختلاف الجيني.

⊗ الآلية الرابعة هي الطفرة Mutation... والطفرة هي التغير في الجينات أثناء إنقسام الخلية فتصبح المكونات الجينية للخلية الجديدة مختلفة عن الخلية الأصلية... تؤدي بعض العوامل إلى هذا الخلل... فالخلايا السرطانية مثلاً هي طفرة في المكونات الوراثية / الجينية للخلية وتكون نتيجة لعادات خاطئة مثل التدخين والذي يؤدي إلى سرطان الرئة أو العلاج بالكورتيزون لمدة طويلة والذي يؤدي إلى سرطان الدم. وفي الكثير من الأحيان تحدث الطفرة بطريقة عشوائية.

وإلى الآن لم نجاب على السؤال الأول وهو: هل يمكن أن تفسر هذه الآليات التنوع الموجود حالياً بين الكائنات؟ فبعد أن شرحنا بإيجاز الآليات المعروفة إلى الآن نستطيع استنتاج ما يلي:

أولاً: الإنتقاء الطبيعي، والإنجراف الوراثي، وتدفق الجينات لا يأتون بخصائص (جينات) جديدة... هما فقط يعملان على تركيز أو مزج جينات الكائنات الموجودة سابقاً. فالإنتقاء الطبيعي مثلاً لا يؤدي إلى "خلق" خصائص جديدة... ففي مثال الزرافة كانت هناك غزلان طويلة وقصيرة... وحدث الفيضان أدى إلى موت الزرافات القصيرة وبقيت الطويلة للتكاثر... فكلما تزاوجت الزرافات الطوال من بعضهم تم التركيز على خاصية الطول. فالزرافات الطوال كانوا موجودين قبل الإنتقاء الطبيعي... ما فعله الإنتقاء الطبيعي هو فقط التركيز على خاصية الطول. وهذا ينطبق على كل أنواع الإنتقاء الطبيعي. فلذلك لا تفسر هذه الآليات وجود كائنات جديدة.

أما بالنسبة للآليات الأخرى فهي محدودة بنوع الكائن... فالتجانس يمكن أن يحدث بين النوع الواحد وليس بين كل الأنواع different not species same species... فيمكن أن تتزوج سلالات مختلفة من الكلاب... لكن لا يمكن أن يتزوج كلب بقطة وينجبا “كلب مقطقط”! ومن هنا نجد أن الآلية الثانية والثالثة من الصعب أن يفسرا وجود أنواع جديدة عن طريق تزاوج كائنات سابقة... فكل الكلاب تنجب كلاب مثلها والإنسان ينجب انسان.. إلخ

أما الطفرة فهي الآلية التي تستطيع إحداث خاصية جديدة عن طريق تغير الجينات للخلية... ولكن ٧٠٪ من الطفرات التي تحدث للخلية لا تسبب أي تغير ملحوظ “Neutral” و ٢٩% من الطفرات تكون مضرّة وتؤدي إلى موت الخلية... فلا يبقى لنا سوى ١% فقط من الطفرات هي التي تؤدي إلى تغيير ملحوظ وغير مضر للخلية. وهذه الـ ١% لا تؤدي إلى تغيير كائن بأكمله من نوع إلى نوع آخر.

والخلاصة هي أن ٩٩% من الحالات النظرية لهذه الآليات تؤدي إلى عملية طرح في التنوع وليس إضافة أي نوع أو جينات جديدة.

• بداية الحياة

هل تشرح نظرية التطور كيف بدأت الحياة على الأرض؟

الإجابة لا... فالعالم ستيفن جاى جولد Stephen Jay Gould إشتهر بتعليقه على كتاب داروين “أصل الأنواع” “on the origin of species” بقوله “إذا كان هناك شيئاً واحداً لا يشرحه كتاب أصل الأنواع فهو أصل الأنواع!”

وستيفن جاى جولد هو من أشهر علماء نظرية التطور في القرن العشرين وكان أستاذاً للأحياء في جامعة هارفارد

والجدير بالذكر أن كافة التجارب التي تهدف إلى إنتاج خلية حيّة من الجماد باءت بالفشل... مع العلم بأن في هذه التجارب يتم وضع مكونات الخلية والتحكم بقدر الإمكان في العوامل والظروف المحيطة بحيث توفر أنسب مناخ لإنتاج الخلية الحيّة وبالتالي نجاح التجربة. فماذا عن إمكانية تصديق أن كل هذا حدث بالصدفة؟

وللعلم فإن تفسير تطور الكائنات هو جزء من سلسلة مفقودة من “التطورات” التي نحتاجها. فنحن نريد تفسير لتطور الجماد إلى كائن حي، وتطور الهيدروجين إلى العناصر الأخرى من غازات وسوائل ومعادن، واخيراً تطور العدم إلى الوجود!

أدلة التطور !

• هل هناك أدلة قاطعة على حدوث التطور الكلي؟

بما أن كل الكائنات حولنا تطورت من كائنات أخرى أكثر بدائية فلا بد من وجود تسلسل تدريجي للكائنات... فمثلاً إذا كانت الكائنات البرمائية - مثل الضفدعة - تطورت من السمك... فأين هو هذا الكائن الوسيط بينهما؟ أو على الأقل هل توجد حفريات لهذا الكائن الوسيط بينهما؟ ينطبق هذا أيضاً على الحوت وسيد قشطة... فعلماء الأحياء يزعمون أن الحوت تطور من سيد قشطة. أين إذن هذه الكائنات التي تقع بين سيد قشطة والحوت؟ بالطبع لا نراها ولكن هناك بعض الحفريات لهذه الكائنات والمسماه بالحفريات الوسيطة أو الإنتقالية transitional fossils.

لقد أدرك داروين نفسه هذه المشكلة وتساءل:

“فلماذا ليس كل الحفريات مرتبطة لتدل على تسلسل الكائنات؟ الجيولوجيا بالتأكيد لا تكشف عن أي من هذه السلسلة العضوية. وهذا ربما هو الاعتراض الأكثر وضوحاً وأخطر دليل ضد نظريتي!!!” وقد تم اكتشاف الكثير من الحفريات بعد وفاته، إلا أن الحفريات الوسيطة لا تزال غائبة. والعالم ستيفن جاي جولد أكد هذا قائلاً، “هناك ندرة شديدة في الأشكال الإنتقالية في سجل الحفريات لا يزال قائماً”

وقال أيضاً:

“يتضمن تاريخ الحفريات لإثنين من المميزات يتعارضها مع فكرة التطور:

- معظم الأنواع لا تتغير أو تتطور أثناء حياتها على الأرض
- في أى منطقة لا تنشأ الأنواع تدريجياً بل في كل منطقة يبدو أن الأنواع تشكلت بالكامل دون تدرج.

الفصل السادس

نظرية التطور من الناحية المنطقية

لقد ناقشنا في الفصل السابق الناحية العلمية لنظرية “التطور”... ووجدنا أن النظرية لا تفسر أصل الحياة ولا التنوع بين الكائنات... والأدلة عليها ليست كاملة إلى الآن.

بعيداً عن الناحية العلمية ، نجد أن نظرية التطور لها أبعاد منطقية تحتاج إلى دراسة خاصة عندما نتأمل أشياء كثيرة حولنا مثل الجمال والفن، الضمير، تصميم الكون... إلخ

فبعض الأسئلة المنطقية التي بحثها علماء الأحياء وأدت إلى “تطور نظرية التطور” هي:

- هل تم التطور بطريقة عشوائية بحتة؟
- هل التطور تم بطريقة تدريجية كما زعم داروين؟
- إذا كنا نتاج عملية عشوائية... فهل يمكن الإعتماد على العقل البشرى لمعرفة الحقيقة؟
- هل تفسر نظرية التطور كل الخصائص التي نتمتع بها؟

(١) هل تم التطور بطريقة عشوائية بحثة؟

• إذا قبلنا أن عملية التطور تمت بطريقة عشوائية فنحن نقبل أيضاً أن الطائفة ممكن أن تتكون من ذاتها إذا جئنا بكل مكوناتها ووضعناها في غرفة وتركناها هناك لملايين السنين... ولقبلنا أيضاً أن لعبة البازل Puzzle ممكن أن تكتمل إذا جئنا بألف قطعة وجلسنا نقدفهم في الهواء مراراً وتكراراً إلى أن تأتي مرة من المرات بالصدفة البحتة أن تقع كل القطع في مكانها الصحيح.

• وكما ذكرنا سابقاً إختبار وضع القردة لتأليف مجرد كلمة واحدة باللغة الانجليزية وإن كانت كلمة I أو a المكونين من حرف واحد فقط ولم يحدث... وذكرنا أن احتمالية تأليف القردة لمؤلف واحد للكاتب شكسبير تحتاج لفرص أكثر من كل الجزئيات في الكون!

• ونظراً لضعف الإحتمالات ظهرت آراء تنادى بما يُسمى التطور الموجّه Guided evolution وهم أناس يعترفون بنظرية التطور ولكن يعتبرونها ضمن الآليات التي استخدمها الله في الخلق. أما أن تكون كل هذه الخليقة أتت بالصدفة فإنه يحتاج إلى قفزة إيمانية Leap of faith أكثر بكثير من فكرة الإيمان بالله.

(٢) هل تم التطور بطريقة تدريجية كما يزعم العلماء؟ أم حدثت

ثورات في نوعية الكائنات الموجودة عبر الزمن؟

• هناك دليان على أن وجود الفصائل المختلفة من الكائنات لم يأت تدريجياً بل ظهرت فجأة في حقبات مختلفة من الزمن.

• الدليل الأول هو الحفريات. فقد قال العالم الأمريكي ستيفن جاي جولد أن هناك فجوة كبيرة في سجل الحفريات الإنتقالية Transitional Fossils لا يزال موجوداً... وأن الحفريات التي تقع في المنطقة الواحدة تشير إلى أن الفصائل المختلفة ظهرت كما هي وليست متطورة من كائنات أكثر بدائية!

• الدليل الثانى على أن الفصائل لم تتدرج من كائنات أخرى تدريجياً هو التاريخ... فالزمن المقدر لعمر الأرض هو ٤,٢ مليار سنة أو أكثر... وظهور أول كائنات شبيهة بالإنسان تم منذ ٢٠٠ ألف سنة... وهذا معناه أنه إذا كان عمر الأرض مثل ٢٤ ساعة... فإن الإنسان ظهر في آخر ٩٠ ثانية من عمر الأرض... فكيف لكائن بهذا التعقيد كالإنسان يظهر في ٢٠٠ ألف سنة فقط بينما ظلت الخلايا البدائية تطور في مدة ملايين السنين وهي لا تزال مجرد خلايا وعلى الأكثر نباتات؟

(٣) إذا كنا نتاج عملية عشوائية فهل يمكن الإعتماد على العقل البشرى في معرفة الحقيقة؟

• النتيجة المباشرة لفكرة أن عقلنا هو نتيجة لعملية عشوائية هو أنه - أى عقلنا - لم يصمم لمعرفة الحقيقة... هو فقط نتاج عملية البقاء للأفضل... كالحوانات التي تسعى أن تحيا في الظروف الطبيعية المختلفة وتسعى للتأقلم لى تحيا.

• ولا علاقة لهذا بالبحث عن الحقيقة والفلسفة والفنون والحضارة والكتابة وتسجيل الأحداث وما إلى ذلك. فالذى يؤمن بنظرية التطور هو أكثر من يجب أن يشك في كل إستنتاجاته بما فيها إيمانه بنظرية التطور... لأن عقله هو مجرد كائن عشوائى

(٤) هل تفسر نظرية التطور كل الخصائص التي نتمتع بها؟

إذا كان هدف نظرية التطور هو البقاء للأصلح ... فلماذا توجد لدينا خصائص كثيرة لا تخدم هذا الغرض مثل الإبداع الفنى ومعرفة الخير والشر دون كل الكائنات الأخرى، بل إن محاولة تفسير الشذوذ الجنسي على أساس انه أمر طبيعى يتعارض كُلياً مع نظرية التطور والبقاء للأفضل... إذ أن الشذوذ الجنسي لا يخدم الهدف الأسمى للتطور وهو التناسل للحفاظ على النوع.

الفصل السابع

تعدد الديانات وإمكانية معرفة الحقيقة

تعدد الديانات يثير الكثير من التساؤلات والشكوك خاصة لدى الشباب وفي الدول المتقدمة حيث درجة تقبل الآخر اتخذت منحى متطرف، وهو أن نقبل معتقدات الآخر ! فالفرق كبير بين الإنسان والمعتقد، وبين الشخص والفكرة... فقبول كل الناس أمر يتفق مع المبادئ المسيحية... بل هي من أكثر الديانات المنادية بذلك... أما الأفكار فنمتحنها ولا يهتز إيماننا مع كل ربح تعليم... فالحقيقة عندنا مطلقة وليست نسبية... الخطأ هو خطأ في أي مكان وزمان... وكذلك الصواب.

ولكن يبقى السؤال... كيف نعرف أننا على حق؟ هل درسنا كل الأديان حتى نعرف أننا على حق؟ وكيف يكون أتباع كل الأديان الأخرى خطأ وما ذنبهم... وهل يمكن أن يهلك كل هؤلاء دون ذنب؟

ألا يعني تعدد الأديان أن البشر عموماً يميلون إلى إختراع الأساطير وأن كل الأديان مجرد إختراعات بشرية لكي يلصقوا الله في أي موضوع لا يفهمونه؟

تتزامن هذه الأسئلة في عقول الكثيرين وتؤدي بهم إلى الإلحاد... أو بالأصح عدم المشاركة الدينية... مثل تعدد الأحزاب الذي يؤدي إلى عدم المشاركة السياسية.

والنتيجة هي وجود حزب (كنبة) كبير في مجال الدين في الدول الغربية... فعند الكثير من الغربيين عدم مبالاة بكل ما هو وراء الطبيعة... وإعتبار الأديان جزء من الفولكلور التابع للثقافات المختلفة لابد أن نقبلها جميعاً كجزء من التراث... ولكنها لا تنطبق علينا الآن!

الحقيقة هي أن وجود الديانات عند أغلب الحضارات يشير إلى إحتياج الإنسان إلى فكرة وجود إله يحميه ويوجد عليه بالخير. فإحتياج الإنسان إلى الله دائم.

هل كل الديانات تعتبر جهات مختلفة لعملة واحدة؟

الحقيقة أن معظم الأديان مختلفة تماماً ولكنها قد تبدو متشابهة من النظرة السطحية. فالديانات تتشابه في الإيمان بما هو وراء الطبيعة... بوجود قوة خارجة هي التي أدت إلى الحياة... ولكن تختلف الديانات إختلافاً جذرياً في الإجابة على أربع نقاط جوهرية: أصل الكون، معنى الوجود، المبادئ، والمصير بعد الموت.

فبعض الأديان الهندية تؤمن أن الله هو الكون كله وهذا ما يُسمى بأل Pantheism.. والموت بالنسبة لهم هو مرحلة لإعادة التجسد مرة أخرى reincarnation. وهذا يختلف تماماً في المسيحية والإسلام مثلاً.

هل يجب أن ندرس كل الأديان حتى نعرف الحقيقة؟

• الإجابة لا... لا يمكن أن ندرس كل الأديان على أي حال... فعدد الأديان تجاوز الألاف ولكن لا يعنى هذا أننا لن نعرف الحقيقة... لأننا لا نحتاج لدراسة كل الأديان. معظم الأديان يمكن تصنيفها إلى مجموعات قليلة يمكن أن تُسَـمَل لنا عملية الدراسة.

• هناك مجموعة كبيرة من الأديان تخلط الله بالطبيعة أو تعتبر الطبيعة كلها هي الله Pantheism and Panentheism. تتواجد هذه الأديان في آسيا، وفي أوروبا ظهر

فيلسوف يهودى يدعى سبينوزا تبى هذه الفكرة وتم حرمانه مراراً بأقسى اللعنات من مجامع يهودية... ومن أشهر أتباع فكرة سبينوزا عن الله هو العالم الشهير أينشتاين فى فترة من حياته. فحسب هذا المعتقد لا يعتبر الله شخص بل كائن شامل لكل الطبيعة حولنا ولا شئ أكثر من ذلك.

• المجموعة الثانية من الديانات هى التى تؤمن بإله أو آلهة كأشخاص ويمكن تصنيف هذه المجموعة إلى ثلاثة مجموعات: تعدد الآلهة، الربوبية، والتوحيد (Monotheism ,Deism , Polytheism)

• تعدد الآلهة: (Polytheism) كان منتشرأ فى كل العالم القديم، الحضارة المصرية والبابلية والإفريقية والرومانية... كل هؤلاء اتبعوا فكرة وجود عدة آلهة. أما الآن بعد إنتشار المسيحية فى أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية فقد إختفت هذه العقيدة فى هذه البلاد، ولكن لا تزال الفكرة قائمة فى دول أسيوية مثل الهند... فالديانة الهندوسية يتبعها ٨٠٠ مليون شخص.

• الربوبية: (Deism) تعترف بوجود الله ولكنها لا تعتقد أن هذا الإله يدير الكون... هو فقط خلق الكون حسب قواعد رياضية وفيزيائية وتركه يعمل دون تدخل... ولم يهتم هذا الإله بإرسال أى نبي أو رسول إلى البشر... وانتشرت الربوبية فى أمريكا فى القرن الـ ١٨... فالكثير من الأباء المؤسسين لأمريكا اعتنقوا الربوبية مثل توماس بين Thomas Paine وهو كاتب الثورة الأمريكية وتوماس جيفرسون Thomas Jefferson وهو الرئيس الثالث لأمريكا ومؤلف بيان الإستقلال.

• التوحيد: (Monotheism) ينحصر فى ثلاثة ديانات كبرى وديانات أخرى لها أتباع يمثلون أقليات فى بلدانهم... فاليهودية والمسيحية والإسلام يؤمنون بوجود إله واحد... وهناك أيضاً الهائيين واليزيديين وغيرهم ممن يؤمنون بإله واحد. والمشارك بين هذه الديانات قليل... ولذلك نحن لا نحتاج لدراسة آلاف الأديان حتى نصل إلى الحقيقة فقط يجب دراسة المجموعات القليلة من الأديان دون الغوص فى كل واحدة منها... فإذا

كانت هناك مشاكل منطقية أو أخلاقية أو علمية أو تاريخية أو جغرافية تنطبق على المجموعة نكون بذلك قد وصلنا إلى نتيجة تنطبق على كل الديانات في تلك المجموعة.

كيف نعرف الديانة الحقيقية؟

• وضع الكثير من المفكرين شروط الديانة الحقيقية. ونستطيع أن نأخذ إحدى الشروط الوافية التي أشار إليها المفكر المسيحي الأمريكي رافي زخارياس Ravi Zacharias. وهي أن الديانة الصحيحة لا بد أن تجاوب إجابات منطقية لا تتعارض مع العلم والمبادئ الإنسانية فيما يخص أصل الكون، معنى الوجود، الأخلاق والمصير بعد الموت. فإذا جاوبت أي من الأديان على هذه المواضيع بطريقة شاملة وغير متناقضة مع نفسها أو مع المنطق أو العلم فهي تعتبر ديانة صحيحة.

أصل الكون

تختلف أديان كثيرة على أصل الكون... فالديانات التي تعتقد أن الله والكون شيء واحد تواجه مشكلة منطقية وفلسفية وهي أن العلم اكتشف أن الكون له بداية وهذه تدعى الانفجار الكبير The Big Bang فإذا كان الكون هو الله... والله هو الكون... فهل معنى ذلك أن الله له بداية؟

إذن هو ليس إله! أو يحتاج إله آخر لإيجاده لأن أي شيء له بداية لا يمكن أن يكون سبب وجوده ذاتياً، أي أنه لم يوجد نفسه.

معنى الوجود

الكثير إن لم يكن كلنا، يسألون عن معنى الوجود... لماذا نحن أحياء الآن على الأرض؟ ما هو الهدف من وجودنا؟

البوذيون مثلاً يؤمنون أن هدف وجودنا هو التطور الروحي والتتقى من الشهوات وسنظل نحيا مراراً وتكراراً من خلال إعادة التجسد إلى أن نصل إلى حالة النيرفانا Nirvana، وهي أن يصل الإنسان إلى السلام الكامل عن طريق التخلي عن الشهوات وبذلك لا يتعرض لأي مشكلة نفسية أو قلق.

أما الربوبية فهي تعتقد أن ليس لله يد في كل ما يحدث الآن... فالله خلقنا وإنشغل بأشياء أخرى ولذلك على كل واحد منا إيجاد معنى لحياته.

وهناك أديان تنادى بأن الله خلقنا لكي نعبد... فالهدف من وجودنا عبادته.

أما في المسيحية فإن سبب وجودنا هو محبة الله لنا... فالله غير خاضع للزمن وهو كلي المعرفة... أحبنا فأوجدنا... لا ينتظر منا عبادة أو عطايا... فقط ينتظر أن نحبه كأبونا... فالله يجد لذته في محبتنا ورعايتنا وإحياءنا وفرحنا... وهو الوحيد القادر على إشباع كل احتياجاتنا... فهو غير محتاج لنا في شيء وإنما نحن نحتاجه في كل شيء لأننا منه.

الأخلاق:

لكل ديانة تعاليم وشرائع تتعلق بالتعامل مع الله والناس والحيوان والمادة... فتعدد الزوجات مثلاً متاح في اليهودية والإسلام ولكن ليس في المسيحية، معاقبة الزاني أو الزانية بالرجم منصوص عليه في اليهودية وليس في المسيحية والبوذية. وقد وصل الرُقي بالأخلاق لدرجة التطرف في بعض الأديان حتى أن هناك قصص أن بوذا ضحى بحياته لإنقاذ نمر في حياة سابقة له. ولا شك أن التعاليم التي ترتقى بمستوى الإنسان روحياً وفي علاقته مع الآخرين هي تعاليم صحيحة... والعكس بالعكس... فلا يمكن أن يأمر الله الإنسان بشئ لا يتفق مع الضمير الإنساني ويؤدي إلى تأنيب الضمير. والأسوأ هو أن يُميت الدين ضمير الإنسان فيجعله شريراً. والثابت هو أن كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة وكل شجرة رديئة تصنع ثمرراً رديئاً (مت ٧: ١٧).

المصير:

تختلف الديانات كلها حول المصير بعد الموت. فهناك مَنْ ينادى بالفناء كبعض المؤمنين بالربوبية (Deism)... وهناك مَنْ ينادى بإعادة التجسد كالبوذيين وبعض اليهود ربما نقلوا هذا التفكير عنهم... فالتلاميذ سألوا السيد المسيح عن المولود أعمى قائلين “أهَذَا أخطأ أم أبواه حتى ولد أعمى؟” (يو ٩: ٢)... وبما أنه لا يمكن أن يُولد أعمى بسبب خطأ ارتكبه في حياته... إذن التلاميذ إفترضوا أنه يمكن أن يكون أخطأ في حياة سابقة أدت إلى ولادته أعمى في حياته الحالية... وهناك مَنْ ينادى بفناء الأشرار وحياة الأبرار في النعيم... وبالطبع يوجد مَنْ ينادى بعقاب الأشرار وحياة الأبرار في نعيم.

وهل السعادة الأبدية تأتي من المملذات الجسدية أم من معرفة الله والحياة به والتلذذ بمحبته الفائقة وحكمته وأبوته التي تفوق كل ادراكنا؟

وليس هدفنا في هذا الكتاب الوصول إلى الديانة الحقيقية... قد يحتاج إلى كتب كثيرة وأما هذا الكتاب فغرضه الرد على إعتراضات الملحدين والإجابة عن السؤال المطروح وهو “هل يمكننا معرفة الديانة الحقيقية التي أتت من الله؟” فمن خلال الأربعة مواضيع المتعلقة بأصل الكون ومعنى الوجود والأخلاق والمصير نستطيع أن نرى بوضوح الإختلافات بين الديانات وأن نحكم مَنْ مِنَ الديانات تشمل إجابات متناسقة على هذه الموضوعات.

هل يمكن أن يهلك كل أتباع الديانات الأخرى؟ ماذا إن ولدوا في ديانة أخرى؟ وماذا عن أصدقائي من أتباع الديانات الأخرى الذين هم أفضل مني ويفعلون الخير للجميع؟

يتضمن هذا السؤال إستنكار أن يكون الله ظالم... وأنه من غير المعقول هلاك أغلبية الناس، خاصةً الأفاضل منهم... فإذا كان أى من الأديان صحيحاً فهناك نتيجتان محتملتان:

- أن هذه الديانة تعتبر الديانات الأخرى خاطئة وتؤدي إلى الهلاك... أو...
- أنه لا مانع من أن يخلص الناس الغير تابعين لهذه الديانة... وفي هذه الحالة ليس ضرورى إعتناق الديانة الصحيحة اذ أنها تنادى بخلاص من لا يؤمنون بها.

الحالة الثانية تفترض أن مجرد السلوك الجيد وفعل الخير كافيان أن يدخلوا الإنسان إلى "الحياة الأخرى". وأن علاقتي بالله هي مجرد الأعمال الخيرة.

ولكن إيماننا أن الله شخص وأن خلاصنا يعتمد على علاقتنا بهذا الشخص. ولهذا مفهوم المسيحية للخلاص مختلف عن الفكرة الرائجة وهي أن عملية دخول الحياة الأخرى تتطلب إستيفاء شروط أساسها فعل الخير! فمن الممكن أن أعامل أبنائي معاملة جيدة جداً... أشترى لهم كل ما يتمنوه وأدخلهم أفضل المدارس، ولكن ليس عندي وقت اطلاقاً أن أمضيه معهم بسبب مشغولياتي الدائمة. هل تعتبر الهدايا والعطايا كافية لتكوين علاقة شخصية وطيدة بين هذا الأب وأبناؤه؟ هل العطايا المادية والمعاملة الخيرة هما كل ما يحتاجه الأبناء؟ بالطبع لا. هكذا علاقتنا بالله هي علاقة شخصية وحياتنا الأبدية تتكوّن الآن أثناء حياتنا على الأرض.

أما في الحالة الأولى فإن النتيجة المتوقعة هي أن الغالبية ستهلك إذ أن أكثر الأديان شعبية وهي المسيحية يعتنقها ٢ مليار شخص وهذا الرقم مازال أقلية مقارنة بعدد سكان الأرض البالغ ٧ مليار نسمة. فيزال السؤال قائماً: هل من المعقول هلاك الـ ٥ مليار نسمة الباقين بسبب عدم إيمانهم بالمسيحية – على سبيل المثال؟

إذا إستخدمنا فكرة هذا السؤال في الكثير من خصائص المجتمع حولنا سنجد أن الإجابة الطبيعية لهذا السؤال يمكن أن تكون مقبولة. فمثلا الكثيرون يولدون في فقر ويموتون في فقر... فهل معنى ذلك أن لا نشجع الناس على الخروج من دائرة الفقر؟ لا... هل الخروج من دائرة الفقر مستحيلة؟ لا. كذلك المعرفة عامة في كل المجالات...

الطبيعي أن جميعنا نولد جهلة... ولكن شجعنا أبأؤنا على العلم... وجميعنا نريد خبرة عملية لإيجاد وظيفة... ولا يوجد سبيل للإستحواذ على الخبرة سوي بالعمل... فهل يمكن أن نتساءل كيف نحصل على خبرة عملية دون العمل؟ أو كيف ننتهي إلى الوصول إلى الله دون أن نسير في الطريق الذي وضعه الله؟! إذن لا يوجد معني للسؤال عن خلاص كل الناس إلا في حالة أن الله لم يعلن لنا الطريق إليه وهنا نوجد معذورين... أما إن كان الله أعلن لنا طريقه... فالسؤال هو: ما هو الطريق؟ قال يسوع: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤: ٦)

الفصل الثامن

إعتراضات على فكرة وجود إله

(١) هل يمكن أن نؤمن بإله خلقنا لمجرد عبادته ومدحه طول الوقت؟

(٢) إذا كان الله يحبنا، لماذا يفرض علينا أن نؤمن به لكي نخلص؟

(١) هل يمكن أن نؤمن بإله خلقنا لمجرد عبادته ومدحه طول الوقت؟

الله لم يخلقنا لمجرد عبادته، فهو لا يحتاج عبادتنا ولا مدحنا. هذا مجرد افتراض مستوحى من معتقدات أديان أخرى، أما في المسيحية فإن سبب وجودنا هو محبة الله لنا... أحبنا فأوجدنا... لا ينتظر منا عبادة أو عطايا... فقط ينتظر أن نحبه كأبونا... فالله يجد لذته في محبتنا ورعايتنا وإحياءنا وفرحنا... وهو الوحيد القادر على إشباع كل احتياجاتنا... فهو غير محتاج لنا في شئ وإنما نحن نحتاجه في كل شئ لأننا منه.

كيف أحبنا الله قبل أن يوجدنا؟

الله فوق مستوى الزمن، فالحاضر والماضي والمستقبل ظاهرين أمامه. فهو يعرف الإنسان قبل أن يخلقه... تماماً كما يرى الإنسان الذي يقف على جبل فيشاهد مسار القطار كله بينما الراكب داخل القطار لا يعرف تماماً مساره.

(٢) إذا كان الله يحبنا، لماذا يفرض علينا أن نؤمن به لكي نخلص؟

الله لا يفرض علينا أن نؤمن به... وإلا لماذا خلق لنا حرية الإرادة لكي نؤمن به أو لا نؤمن. كل ما في الأمر هو فهمنا الخاطئ لفكرة الخلاص. فالخلاص في المفهوم المسيحي هو الوجود في حضرة الله... فإذا اخترنا بمحض إرادتنا أن نرفضه فلماذا نعترض على عدم الوجود معه في الأبدية.

الفصل التاسع

الشر والألم

الإختبارات المؤلمة في حياة الإنسان تزعزع ثقته في فكرة وجود إله محب... فإن لم يكن لدى الإنسان إيمان راسخ في وجود الله ورعايته وضبطه لكل الأشياء، يسقط الإنسان في التجربة. ولعل وجود الشر في ذاته يسبب مشكلة حتى لو لم توجد ظروف شخصية ضاغطة... فمجرد الكوارث الطبيعية التي نقرأ عنها في الأخبار تثير استياءنا... وقد نتساءل أين هو الله من كل هذا؟ ولماذا لم يمنع الكارثة قبل حدوثها؟... أليس هو ضابط الكل؟ ألا يشفق علينا الله من كل هذه المتاعب؟ لماذا لا يتدخل؟

تدور هذه التساؤلات عند الكثيرين... وأشهر من عبّروا عن هذه الحيرة هو الفيلسوف الإغريقي أبيقور الذي تساءل:

• هل يريد الله أن يمنع الشر لكنه لا يقدر؟ ... حينئذ هو إله عاجز

• هل يقدر أن يمنع الشر لكنه لا يريد؟ ... حينئذ هو شرير

• هل يقدر ويريد؟ ... لماذا يترك الشر إذن؟

• هل هو لا يقدر ولا يريد؟ ... فلماذا نطلق عليه الله

هذه حقاً معضلة! فالأقرب للمنطق بالنسبة للكثيرين هو إما أن الله غير محب أو لا يوجد من الأساس. ولكن هل تعتبر هذه الإحتمالات هي كل الإحتمالات الممكنة؟

الشر... ما هو؟ وكيف نعرفه؟

نصف الحل هو في تعريف المشكلة تعريفاً دقيقاً... فالشر هو المشكلة ولكن ما هو الشر؟ هل هو الكوارث الطبيعية؟ هل هي الحروب؟ هل الشر مرتبط بقيمة الكائن المتضرر؟

فمثلاً نعتبر أن التجارب الكيميائية على النباتات "أقل شرّاً" من التجارب على الحيوانات والتجارب على الحيوانات "أقل شرّاً" من التجارب على الإنسان! كيف يتفق معظمنا على هذا التدرج في الشر؟ أليس من حق الشجرة أن تعتبر التضحية باخواتها من أجلنا لكي نستدفي أو نبني دواليب من الخشب شرّاً؟

ولقد تفلسف الكثيرون في هذا التأمل حتى وصل البعض أن قتل الخلايا السرطانية عند علاج مريض السرطان هو شر... فهي جريمة قتل أرتكبت في حق الخلايا السرطانية!! وفي النهاية نستطيع القول بأن معظمنا يتفق على أن البشر أعلى قيمة من الحيوان والنباتات والجماد على التوالي... وإن دل ذلك على شئ فهو على وجود خالق هو واضع الضمير والقيم لدى الإنسان ولولاه لما كنا أدركنا فكرة الشر من الأساس لأنها نابعة من الخير... فالشر هو ببساطة غياب الخير كما أن الظلام هو غياب النور. فالشر لا يوجد بذاته مثل الظلام الذي لا يوجد بذاته... هو معروف بسبب فقدان قيمة أفضل مثل الخير والنور. ولولا أن الإله هو كلى الصلاح لما وصلنا إلى فكرة الشر... لماذا؟

الإلحاد والشر

إذا افترضنا عدم وجود إله وأن كل الكائنات أتت بطريقة عشوائية لما كان من المفترض أن نسأل أي سؤال عن الشر لأننا لن نكون في إستطاعتنا معرفة الخير. ففي العلم والأحياء الكل متساوي، الكل مادة في شكل خلايا منظمة... لا يوجد سبب

منطقي أن نستخدم فئران للتجارب بدلاً من الإنسان... فساعتها الإنسان والفئران
هما كائنان متساويان... لا توجد قيمة مختلفة لأى منهما!!

ولذلك وجود الشر وشعورنا به هو أكبر دليل... بل دليل قاطع... على وجود الخير
ويشير ذلك إلى الله، وإجماعنا على أن قيمة الإنسان أفضل من الحيوان والحيوان
أفضل من النبات يدل على أن فهمنا للشر ليس نسبي ولا عشوائى.

• ولتقريب الإستنتاج الأول دعونا نتخيل أننا كلنا ولدنا فى عالم مظلم تماماً... لم
نرى نوراً أبداً فى حياتنا. هل من المعقول أن يتساءل أحد منا أين النور؟ أويشكى من
الظلمة؟ لا... لأنه لا يوجد أحد منا يعرف ما هو النور... بل لا أحد يعرف أننا نعيش فى
ظلمة... بل لا أحد يعرف أنه يوجد شئ اسمه ظلمة! ولذلك معرفتنا بالشر هى أكبر
دليل على معرفتنا بالخير.

• إذا وضعنا ثلاثة كائنات أمام أى شخص وطلبنا منه قتل واحدة منها. والثلاثة
كائنات هى إنسان، قطة، ودودة... فأى من الثلاثة سوف نختار؟

• إذا خيرتنا أى شخص بين الوجود بعد الموت أو الفناء... ما هو الإختيار الطبيعى؟

إذن:

• نحن نعرف الشر لأن الخير موجود ولأننا ندرك الخير.

• الشر بالنسبة لنا مفهومه واحد والقيم بالنسبة لنا مشتركة وليست نسبية أو
عشوائية.

• الوجود أفضل من العدم. إذن الخالق هو إله طيب إذ أوجدنا وهو يختار الخير
لأنه فضل أن يوجدنا.

الإلحاد ونسبية المبادئ

في الآونة الأخيرة انتشر الإلحاد في الغرب... وكانت النتيجة هي تغيير مفهوم المبادئ من أنها مشتركة ومطلقة بين كل البشر إلى أنها نسبية تعتمد على الثقافة والتنشئة بل وأيضاً على الإحساس.

فالشذوذ أصبح مقبولاً والقاتل أصبح معذوراً! فلا يوجد إله وضع ناموس طبيعي للبشر... كل شخص حر له أن يختار ما يشاء وليس من حق أي شخص أن يجزم بالصواب والخطأ... فما يعتقده شخص بأنه خطأ قد يكون صواب بالنسبة لشخص آخر.

ففي إحدى الدراسات تم سؤال أطفال ابتدائي في أمريكا إذا كان ما فعله هتلر من قتل الملايين من الأبرياء يعتبر خطأ... فكانت النتيجة أن ٢٥% من الأطفال أجابوا بأنهم لا يعرفون... وعند سؤالهم ثانية هل من المحتمل أن يكون قتل الملايين من الأبرياء مبرراً؟ فأجابوا ربما... يجب علينا أن نسأل هتلر لماذا فعل ذلك... ربما عنده أسباب!! وهذه نتيجة طبيعية للإلحاد... فلا يوجد سبب منطقي لوجود ضمير مشترك بين البشر يثير إلى الشر أو الخير.

من أين أتى الشر؟

الشر هو غياب الخير... الشر إذن كان اختيار بشري... فحرية الإختيار شئ جيد في ذاته ولكن استخدامه في إختيار الشر هو المشكلة... فالكثير من اللوم الذي نوجهه إلى الله هو نتاج أفعال بشرية ولكننا نستسهل لوم الله على لوم أنفسنا. فماذا عن الألم والكوارث الطبيعية؟ هي أيضاً نتاج إختيار الشر؟. المسيحية واليهودية هما أكثر ديانتان تعرضتا لذلك... بل نجد أنبياء يشتكون لله “لماذا تنجح طريق الاشرار؟” (أر ١: ١٢)

ألم يمكن لله أن يخلق كوناً دون شر وألم؟

بالطبع يمكن لله أن يخلق الكون دون شر أو ألم لأنه كلي القدرة، ولكن في هذه الحالة ستكون المخلوقات مثل الإنسان الآلي دون إرادة ولا حرية اختيار... ولذلك السؤال الأدق هو، هل يمكن أن يخلق الله كون دون شر أو ألم وفي نفس الوقت يكون للإنسان حرية الإختيار؟... أليس الله كلي القدرة ويستطيع فعل أى شيء؟

الحقيقة هي أن هذا السؤال غير منطقي إذ لا يوجد تعريف للشر دون وجود حرية الإرادة... فهذا السؤال يشبه من يريد أن يعرف إذا كان الله يستطيع أن يرسم دائرة مربعة أو مربع مستدير! كلها أسئلة غير منطقية، فتعريف المربع مستوحى من شكله... فإذا تغير شكله تغير تعريفه بالضرورة. هكذا الشر وحرية الإرادة.

لماذا حرية الإختيار؟

الله أوجدنا اذ أحبنا... ولايجدي الله أن يخلق الإنسان ككائن آلي ليس لديه حرية إختيار. فهل يسعد أي إنسان سوي أن يصادق سيارته لأنها تطيعه؟ أو هل يسرأب أن يرى ابناؤه يتظاهرون بأنهم يحبوه لمجرد سعيهم أن يأخذوا منه احتياجاتهم؟... لأن الله أحبنا ترك لنا الحرية الكاملة لنتبعه أو نتركه... والله سوف يبيد الشر حتماً يوماً ما... وهذا اليوم سيكون يوم القيامة. فالكثير من الشر حولنا، مثل الحروب، هو بسبب أفعال الإنسان وإختياراته.

ماذا عن الكوارث الطبيعية والألم؟ ماذا عن الاطفال الذين يولدون معاقين أو يصابون بالسرطان؟ ألم يكن في استطاعة الله أن يمنع كل هذا الشر؟

الألم مكروه... ونسعى بقدر استطاعتنا أن لا نمر به. فهل الألم يعتبر شر؟ الألم قد يكون طبيعى جداً... ففي مراحل النمو نشعر بالألم في أرجلنا... بل خروج الطفل من بطن أمه مؤلم.

الألم إذن ليس شرفي ذاته... بل هو مفيد في معظم الأحيان... ولكن يبقى السؤال: ما ذنب الأطفال؟

يجب أن ندرك أن هذا الكون يبدو فاسداً... ولكنه أيضاً رائعاً... فجمال الكون وفساده في نفس الوقت مثله مثل كاتدرائية جميلة تم تفجيرها ولكن بقي حطامها شاهداً على جمالها... وهنا يجب الرجوع إلى التعاليم الإلهية في هذا الشأن... الله خلق الكون جميلاً لا عيب فيه ولكن سقوط الإنسان هو الذي أدى إلى فساده.

فوائد الألم

• بدون ألم كان من الممكن أن يقع الكثير منا ضحية للأمراض... فالألم ينبّه لوجود مشكلة ويجعلنا نسعى للعلاج من المرض... وكلما تقدمنا في العلاج زال الألم.

• كما في النمو الجسدى نشعر بالألم، كذلك في النمو الروحى... ففي قمة الألم رأى أيوب الله... وينطبق هذا على كثيرين... فلا يوجد وقت يقترب فيه الإنسان من الله مثلما يقترب منه في وقت الألم.

• والألم أيضاً يعلمنا عدم جرح النفس والآخرين... فإذا لم يُوجد الألم لكان من السهل علينا إيذاء أنفسنا أو الآخرين.

• وفي كل الأحوال الله لديه مشيئة صالحة من كل ألم ويستخدمه لخلاص نفوسنا. ومن عدل الله أنه لا يسمح أبداً بأى ألم فوق احتمال الإنسان. فالله يفعل كالأب الذى يعطى ابنه تطعيم ضد الأمراض... يسمح بالألم ويرى ابنه يتألم من "الحقنة" بل ويأخذ الميكروب في دمه... ولكن كل هذا من أجل خير أعظم... وهو الوقاية من المرض.

كيف يواجه الله الشر والألم؟

الله يواجه الشر والألم ولكن ليس على الطريقة التي نريدها... فكما ذكرنا سابقاً أنه إذا منع الله الشر لابد له أن يأخذ منا حرية الإرادة... ولذلك أفضل رد للألم هو ما فعله الله... أنه جاز بنفسه في آلام كثيرة بل أكثر من أي ألم طبيعي. فيسوع المسيح ولد فقيراً لا ذنب له في ذلك ولم يكن متضجراً أو شاكياً... توفي عائلته (يوسف النجار) وهو بعد صبي... رأى الصليب أمامه كنهاية مأساوية مكروهة عبر التاريخ بل وملعونة من الله في العهد القديم ولم يكن مكتئباً. خانه صاحبه وأسلمه للقتل ولكنه إستقبله بوداعة لانماً برفق “أقبلتة تسلم ابن الإنسان؟”... أسرع تلاميذه في الهرب ليتركوه وحده في أيدي قاتليه... أنكره صديقه... لطم وتفل عليه وجلد... وفي كل هذا رفض حتى الدفاع عن نفسه... لقد جاز يسوع المعصرة وحده دون معين أو مُعزّي... حتى أنه صرخ إلى الله على الصليب وفي صرخته لم يفهمه صالبيه بل تحدّوه ليروا إن كان الله سينقذه... وفي صرخاته الأخيرة طلب الغفران لقاتليه ملتمساً لهم العذر، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون” (لو ٢٣: ٣٤).

لماذا إحتمل يسوع كل هذا؟ وفي كل الضعفات الظاهرة نجده الوحيد الذي يعدنا أنه “في العالم سيكون لكم ضيق، لكن ثقوا أنا قد غلبت العالم” (يو ١٩: ٣٣).. وأنه “معنا في كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر” (مت ٢٨: ٢).

